قال الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ الآية . سورة يوسف



لواضعه

السيد
علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية
ورئيس المغيرين

الجزء الأول

يشمل

قصص الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



الاهداء

إلى الأرواح الطاهرة والنفوس العالية

إلى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
أهدى كتابى هذا، وأسأل الله الكبير المتعال أن يوفقنا للعمل بسنتهم
وأن يحيينا ويميتنا على ملتهم إنه سميع مجيب الدعاء

مصر الجديدة فى يوم الاثنين
١١ رجب سنة ١٣٥٢
٣٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣

السيد على فكرى
ابن المرحوم محمد عبد الله
الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي وعليه توكلي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فإن أحسن القصص ما كان مرويًّا عن الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين، وأئمة الدين والصالحين، لقوله تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ سورة يوسف

ولقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف

ولقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة هود

ولما كانت القصص والروايات المنتشرة الآن فى مصر بعضها مخالف

للأدب والدين ، مفسد لأخلاق البنات والبنين،لاشتمالها على حكايات خرافية ، وأحاديث غرامية

قد دفعتنى الغيرة الدينية الإسلامية،والعاطفة الوطنية المصرية والمحبة الإنسانية، إلى أن أضع كتابًا صغيراً فى القصص الدينية، التى تحثّ على الفضائل، وتنهى عن الرذائل

فقمت بمعونة الله وفضله بوضع هذا الكتاب وسميته (أحسن القصص) ليكون اسمه دليلا عليه وقسمته الى خمسة أجزاء :

الجزء الأول والثانى : يشملان مختصر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما ذكرت فى القرآن الكريم وعددهم ٢٥ الواجب على كل مسلم معرفتهم وأن يلم بقصصهم وأن يؤمن بهم

الجزء الثالث : يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ومناقبهم الهادية إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال

الجزء الرابع : يشمل مختصر سير أئمة الدين والصالحين، الذين بينوا قواعد الدين،وشيّدوا البراهين،على أساس متين،للأخذ بارشاداتهم والاهتداء بنورهم للفوز بالسعادتين فى الدارين

الجزء الخامس: يشمل مختصر سير أمهات المسلمين، و بعض الشهيرات من النساء المسلمات،ليكون فى ذكرهن أحسن أسوة وقدوة للنساء والبنات وقد توخيت فيه سهولة العبارة وحسن الأسلوب ليكون سهل الفهم

مناسبا لمدارك الطلاب وذلك إجابة لطلب حضرة أخينا عبد العزيز أفندى الحلبى الكتبى الشهير

والله تعالى أسأل أن يكون لهذا الكتاب ما أرجوه من الأثر الطيّب فى نفوس أبناء الأمة الاسلامية فيعملوا بما فيه والله الموفق لما فيه صلاح الحال وبلوغ الآمال

وانى لا أريد إلّا الاصلاح ما استطعت وهو حسبى وكفى ؟

مصر الجديدة فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٥٢

٢٤ يونيه سنة ١٩٣٣ السيد

على فكرى

الأمين الأول

لدار الكتب المصرية

الرسل أو الأنبياء

(صلوات الله عليهم أجمعين)

اعلم يابنى أن الله جلت قدرته، وعلت كلمته، خلق الخلق وجعل فيهم أخلاقا حسنة تساعدهم على انتظام معاشهم ، وصلاح حالهم، ليتسابقوا فى عمارة هذا الكون ، كما أنه جعل فيهم أخلاقا سيئة لبتميز الطيب من الخبيث ، والمحسن من المسئ

وقد اقتضت رحمة الله بعباده أن يرسل لهم أناسا منهم تخلقوا بالأخلاق الفاضلة، واتصفوا بالصفات الكاملة ، ليهدوهم و يرشدوهم الى مافيه صلاحهم ، وتقويم أخلاقهم، وتهذيب نفوسهم ، وليبينوا لهم الخير لاتباعه ، والشر لاجتنابه ، وهؤلاء هم الرسل أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد جعلهم الله بشراً من جنسهم لينتفع بعضهم ببعض فى المخاطبات ولم يجعلهم ملائكة لعدم إمكان رؤيتهم ومخالطتهم ومخاطبتهم ، فلا تحصل الفائدة المقصودة من إرسالهم

ولقد امتن الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ آل عمران

وقد بين الله سبحانه وتعالى وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهى : أنهم يبشرون من صدقهم فيما جاءوا به من عندالله تعالى وعمل به بالجنة والثواب ، والتنعم بالنعيم المقيم ، وينذرون من كذب بهم وعصاهم فى ذلك بالنار والعذاب الأليم ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ الكهف

وقد بيّن الله الحكمة من إرسالهم عليهم الصلاة والسلام ، وهى أن يبشّروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء الناس حجة ومعذرة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل وتبليغ الشرائع قال تعالى :

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ النساء

وقد أرسل الله هؤلاء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام بالآيات البينات ، وأنزل معهم الكتب المبينة فيها الأحكام والمأمورين هم بتبليغها للناس ، ليكونوا على أكمل حالات العدل والانصاف فيما بينهم ، ويتبعوا هؤلاء الرسل فيما أخبروا به ، ويطيعوهم فيما أمروهم به قال تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد

وقد أيدّهم الله بالمعجزات التى هى من خوارق العادات وفوق مقدور البشر ، وميزّهم بصفات سامية كريمة وهى : الأمانة فيما كلفوا به والطاعة لله ، والصدق فى كلّ ما أخبروا به عن الله تعالى، والعصمة من الوقوع فى أىّ معصية صغيرة كانت أو كبيرة ليكونوا قدوة حسنة ونبراساً لهداية الناس كافة .

وقد بين جلّ شأنه من اصطفاه من هؤلاء الرسل وميزّه عن غيره منهم بعظم قدره ، وعلو مرتبته ، وأوجب الشرع معرفتهم وهم خمسة وعشرون ذكر الله منهم ثمانية عشر فى هذه الآيات وهى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ الأنعام

وقد بقى سبعة وهم : آدم . وهود . وشعيب . وصالح . وإدريس . وذو الكفل، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أما آدم، فقد ذكر فى قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة

وأما هود ، ففى قوله تعالى : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ هود

وأما شعيب ، ففى قوله تعالى : ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ هود

وأما صالح، ففى قوله تعالى : ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ هود

وأما إدريس، ففى قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾ مريم

وأما ذو الكفل ، ففى قوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ص

وأما سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ففى قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ آل عمران

وقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح

فهؤلاء هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام الواجب على كل إنسان معرفتهم وأن يلم بقصصهم لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف

وأن يؤمن بهم ؛ لأن الله تعالى جعل من كمال الايمان الايمان بهم جميعاً وألَّا يفرق بين أحد منهم فيؤمن ببعض، ويكفر ببعض، لقوله تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ النساء

وأولو العزم من هؤلاء الرسل هم : نوح ، و إبراهيم الخليل ، وموسى وعيسى، ومحمد، عليهم صلوات الله وسلامه، وقد خصصنا لهم الجزء الثاني من هذا الكتاب إظهاراً لفضلهم ولشدة عزيمتهم

١ – قصة آدم عليه السلام

أبو البشر

اعلم يابنى أن الله تعـالى أوجد العالم من العدم ، فبعد أن خلق الأرض،وجعل فيها كل مايقوم بأمر الحياة ويصلح للعمران ، اقتضت حكمته تعالى أن يخلق فيها النوع البشرى الانسانى ويهب له من قوى العقل ومواهب الادراك مايصلح معه لأن يكون خليفة الله فى أرضه على سائر الكائنات التى هى دونه تتميما وتكميلا لنظام الكون

فأول من خلق من البشر (آدم عليـه السلام) وسمى بهذا الاسم لأن الله سبحانه وتعالى خلقه بيده من أديم الأرض أى من ترابها وصوَّره وجعله بشراً سوياً ونفخ فيه الروح وأمر الملائكة بالسجود له لقوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ص . سويته (أى جعلته على هيئة الانسان)

وفى آية أخرى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ

حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ الحجر

« من صلصال ، أى من طين يابس إذا ضرب عليه يصلصل أى يصوت . ومن حمأ مسنون، أى من طين أسود مصبوب »

ولقد خلق الله آدم فى أحسن صورة وأجمل قوام لقوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين

وقال الله سبحانه وتعالى للملائكة : إنى متخذ فى الأرض خليفة ليقوم بعمارتها وتتميم نظامها ، فلما علموا ذلك وأدركوا أن الانسان بطبيعته مجبول على الفساد سألوا الله من قبيل التعلم لا من قبيل الاعتراض عن حكمة تفضيل الله إياه عليهم فى إسناد الخلافة اليه مع قيامهم بعبادته وطاعته أحسن قيام كما قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ البقرة

فأجابهم الله عز وجل : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة

ثم أوحى الله إلى قلب آدم كل ما هو مستعد له النوع الانسانى من الرقى الصورى والمعنوى وألهمه الأشياء بأسمائها ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

كُلَّهَا ﴾ وأمره بأن يسردها على الملائكة اظهاراً لاستعداد نوعه للقدرة على القيام بها

وامتحن الله الملائكة إذ يقول : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فى أنكم أحقّ بالاستخلاف فى الأرض وأولى من آدم الذى هيأته لها وأعددته لمنصبه الرفيع

فلما عجز الملائكة عن ذلك اعترفوا بقصورهم ووقفوا عند حدهم ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة

فقال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ قال الله تعالى للملائكة: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة

فكان ذلك تذكيرا لهم بشأن العلم و رفعا لقدره و إعلانا بكرامة آدم عليه السلام،وأفضليته على الملائكة،واستحقاقه الاستخلاف فى الأرض

ولما فهم الملائكة حكمة التفضيل وأنهم لاقبل لهم بخلافة الله فى الأرض لعدم استعدادهم للاشتغال بالأمور المادية أطاعوا أمر الله بالسجود لآدم سجود تحية وتعظيم لاسجود صلاة وعبادة فسجدوا

إلَّا إبليس فانه أبى وا ستكبر وكان من الكافرين لقوله تعالى :

﴿ وَإذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اُسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إلَّا إبْلِيسَ أَبَى وَاُسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة

ولما سأل الله تعالى إبليس عن سبب اُمتناعه عن السجود لآدم عليه السلام :

﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَامَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَاخَلَقْتُ بِيَدَىَّ اَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ ص

وقال له فى آية أخرى : ﴿ قَالَ مَامَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إذْ أَمَرْتُكَ ﴾ الأعراف

فأخذ إبليس يختلق لنفسه الأعذار الباطلة والحجج الواهية وقال :

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ الأعراف

و ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ الحجر

وسمى إبليس لأنه أبلس من رحمة الله أى يئس وزعم بكبره وضلاله أن النار أقوى من الطين والفخار

* * *

ولما ظهر خبث إبليس اللعين بتكبره عن طاعة أمر ربه واُمتناعه

عن السجود لآدم عليه السلام أمره بالهبوط من الجنة (أى النزول منها) وقال له : ليس لك أن تتكبر فيها وتخرج عن طاعتى وأمرى لأنه لايسكن الجنة متكبر وعاص لأمر ربه كما قال تعالى :

﴿ قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ الأعراف

ثم قال له : اخرج منها صاغراً ذليلا

﴿ فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ الأعراف

وقال له فى آية أخرى :

﴿ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
الحجر

فخرج ابليس من الجنة مطرودا مرذولا، ورجمه الله باللعنة الساحقة فكان من ذلك الحين الشيطان الرجيم، والمخلوق الخبيث اللئيم الذميم، بعدأن كان ملكا كريما، وأصبح معدن كل شر، ومنبع كل خبث وفساد، بين العباد

ثم طلب من الله أن يمهله ولا يعاقبه على مافعل الى يوم البعث والنشور داعيا ربه :

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الأعراف

فأجابه الله بأنك من الممهلين كما قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال إبليس لربه : يارب بسبب ما أضللتنى لأقعدن لهم مترصدا على طريقك المستقيم (وهو دين الحق) ثم لآتينهم من جميع جهاتهم بالتسويل والاضلال فلا تجد أكثرهم مطيعين شاكرين لأنعمك :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ الأعراف

قال الله لإبليس : اخرج من الجنة مذموما مطرودا وذلك قوله في كتابه تعالى :

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ الأعراف

ووعد الله بني آدم بأن من اتبع عدو الله ابليس وأطاعه وصدّق ظنه أن يملأ جهنم من جميعهم ومن إبليس وذريته بقوله :

﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال إبليس : رب بسبب ما أغويتنى لأزينن لهم الأمور الأرضية والميول الشهوانية ، ولأضلنهم أجمعين غدا إلّا عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك فلا سلطان لى عليهم كما بيّن سبحانه بقوله :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ الحجر

فقال الله تعالى : ان تخليصهم هذا من إغوائك حق عليَّ أن أراعيه لا أعدل عنه، فان عبادى ليس لك عليهم سلطان فسلطانك ينحصر فيمن اتبعك من الضالين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، يتجلى ذلك من قوله تعالى :

﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الحجر

«ملاحظة لايظن إنسان أن الله سبحانه وتعالى كان يخاطب الملائكة وإبليس وجها لوجه فهذا مستحيل؛ لأن الله جلّ وعلا لا يُرى للملائكة ولا لابليس ولا يستطيع كائن من كان أن يجادله وأن يخاطبه وإنما أراد الله تصوير مافعله للملائكة والشيطان حيال آدم وما جاش بصدورهم عنه فأتى بتلك الآيات »

ولما أسبغ الله تعالى على آدم عليه السلام من واسع فضله وجزيل عطائه وكرمه، وأسكنه الجنة كان يقيم فيها وحيداً لا جليس ولا أنيس له فاُقتضت إرادة الله أن يخلق (حواء) من أحد أضلاعه اليسرى لتكون زوجاً له (وسميت حواء لأنها خلقت من شئ حيّ)

وقد خلقها الله تعالى لتسكن إلى آدم ويسكن إليها ويأنس بها وذلك قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف

وقد وضع الله فى قلبيهما من المودة والرحمة مابه يتم لهما السعادة فى اجتماعهما لقوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم

ولما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما أن يرتعا فيها حيث شاءا ويأ كلا من ثمارهاماطاب لهما، ونهاهما عن الأ كل من شجرة واحدة (الله أعلم باسمها وحقيقتها) وقد اُبتلاهما الله بالنهى عنها وتحريمها اختباراً وامتحاناً لآدم بخطر هذه الشجرة ليكون ذلك سبيلا لنفاذ قضائه وذلك قوله تعالى :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اُسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة

فكانت هذه الشجرة حيلة الشيطان التى زينها لآدم وزوجه عليهما السلام فأغراهما بها وقال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ؟ قال آدم عليه السلام : نعم

قال إبليس اللعين له : كل من هذه الشجرة . فقال آدم عليه السلام :

نهانى ربى عنها . فقال إبليس : مانها كما ربكما عن هذه الشجرة إلَّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبى آدم أن يقبل منه

فأخذ إبليس اللعين يبذل مافى وسعه، ويسلك كل سبيل الى تحسينها فى عينيهما ، وما زال بهما حتى اغترا بقسمه أنه لهما من الناصحين .

ونسى آدم عليه السلام ما كان من فعلة إبليس معه حين أبى السجود له إطاعة لأمر ربه،ونسى أيضا وصية ربه وظن أن الأكل من هذه الشجرة هو الذى سيجعلهما من الخالدين، وتلك سنة الله فى آدم وسنته من بعده: الأمل الطويل فى الحياة،والرغبة الأكيدة فى طول الأجل، وذلك قوله تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَاوُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف

فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما،وطفقا يخصفان عليهما،أى يجمعان عليهما،من ورق الجنة ليواريا به سوآتهما و يغطيان مابدا من عورتهما،التى كشفتها معصيتهما لربهما،واغترارهما بنصح عدوهما الشيطان،وكذلك يفعل

الشيطان مع بني آدم يغشهم ، و يغويهم بكذبه و بهتانه ، فيظنون غشه نصحًا، و كذبه وبهتانه صدقًا وحقًا . قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾ الأعراف

فلمّا وقع بآدم وزوجه من مصيبة المعصية ماوقع ناداهما ربهما قائلا : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، ألم أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قال الله تعالى :

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ الأعراف

فلما ناداهما بهذا النداء أفاقا عندئذ من الغشية ، وانتهيا من الذهول ، وذكرا بعد النسيان ، وعلما أنه لانجاة من الله ، ولامفزع إلّا اليه فقالا :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف

وكذلك الشأن فى العقلاء من بنى آدم كما قال الله فى وصفهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَاهُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ الأعراف

ولما كانت الجنة دار الأتقياء البررة الطاهرين من كل رجس

فلا بد أن يذوق آدم فى الأرض من عناء الحياة ومشاق العمل فى الزرع والحرث والكد مايغسل عنه الصغيرة ، ويطهره من هذه المعصية ويهيئه لدخولها خالدا فيها أبدا فأمرهما بالهبوط الى الأرض قال تعالى :

﴿ اِهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ البقرة

ولما هبط آدم من الجنة الى الأرض كما أمره ربه واستقر جالسا فزع من ذلك فزعا شديداً فذكر الجنة وما كان فيها من الراحة فخر مغشيا عليه

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : بكى آدم وحواء على مافاتهما من نعيم الجنة مائتى سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ، ولم يقرب آدم حواء مائة سنة

فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة

ثم إن الله أرسل جبريل الى آدم فعلمه الزراعة ، وصارت حواء معه يقاسيان هموم الدنيا ، وقضى الله على آدم أن يأكل خبزه بعرق جبينه

وعلى حواء بمشقات الحمل والولادة

وكانت حواء تلد فى كل بطن ذكراً وأنثى ، فكان كل ذكر من بطن يتزوج الأنثى من بطن آخر ، وولدت منه كثيراً من الأولاد ، وماتا بعد أن عاش آدم نحو الف سنة

روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق آدم يوم الجمعة ، وفيه أهبط الى الأرض ، وفيه تاب عليه ، وفيه توفى

فلما حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم اليه فقال لها : خلى عنى وعن رسل ربى ، فانى مالقيت الَّا منك ، ولا أصابنى ما أصابنى الا منك ، فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه فى وتر من الثياب ثم لحدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده

وقيل دفن بالهند ، وقيل دفن بمكة فى غار أبى قبيس

وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت ودفنت معه والله أعلم

٢ ـ قصة ادريس عليه السلام

إدريس عليه السلام، هو جد أبى نوح كما رواه البخارى، وهو أول من أعطى النبوة من بنى آدم فيما زعم ابن اسحق ، وأول من خط بالقلم وكتب الصحف ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وأول من ركب الخيل وجاهد فى سبيل الله ، ونظر فى علم النجوم والحساب ، والحكمة والمنطق ، وأسرار الفلك ، ورسم عمارة المدن ، وسمى إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث عليهما السلام

وأول من قطع الثياب وخاطها ولبس المخيط ، وكان قبل الناس يلبسون جلود الحيوانات ، وكان لايغفل عن ذكر الله أثناء خياطته ، وهو الذى سمى المثلث؛ لأنه ملك وحكيم ونبى

وقد أرسله الله تعالى لبنى قابيل حيث اتبعوا آباءهم فى الفجور حتى أدى فجورهم إلى عبادة الأصنام ، وأمر إدريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قابيل ، وفى زمانه عملت الأصنام ، ورجع من رجع عن الإسلام ، وقد خصص إدريس ثلاثة أيام فى الاسبوع يأمر فيها بنى قابيل وينهاهم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث عليهما السلام فأمره الله تعالى أن يقاتلهم ، وكان ذا قوة وبأس

شديد ، ولذا سموه هرمس الهرامسة أى أسد الأسود

وقد أعطاه الله درجات عظيمة فى الدنيا والآخرة

وقال الله تعالى لخاتم أنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيًّا ﴾ مريم

أى اذكر يا محمد فى هذا القرآن الذى أوحينا اليك به أن إدريس كان صديقًا لايقول الكذب (نبيا) نوحى اليه من أمرنا مانشاء (ورفعناه مكانًا عليًا) أى مكانًا عاليًا من الكمال

وقال بعض المفسرين لما كشفت له أسرار الملكوت وا شتاق الى الملأ الأعلى أكرمه الله برفعه الى السماء الرابعة ، وقيل : بل إلى السماء السادسة

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه رفع الى السماء السادسة . والله تعالى أعلم

وقال ابن عباس رضى الله عنهما أربعة من الأنبياء أحياء وهم : إدريس وعيسى فى السماء ، وإلياس والخضر فى الأرض ، وكلهم يموتون إلا إدريس فانه اذا مات الخلق يبقى حيًا . وقيل هو الذى يجيب الله تعالى اذا مات الخلق وقال : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ ﴾ فيقول إدريس : (لله الواحد القهار)

وقال الله تعـالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء

وقد روى البخارى وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : فلما مرَّ جبريل عليه السلام فى ليلة الاسراء بالنبى صلى الله عليه وسلم بإدريس قال : مرحبا بالنبى الصالح ، والأخ الصالح : فقلت من هذا ؟ قال هذا إدريس

وروى مسلم وأبو داود والنسائى عن معاوية بن الحكم السلمى قال : قلت يارسول الله ومنا رجال يخطون ؟ قال : كان نبى من الأنبياء يخط فمن وافقه خطه فذاك

قيل هذا النبى : هو إدريس عليه السلام ، وكان يخط فى الأرض خطوطا يستخرج منها علوما ومعارف بتعليم الهى فموافقته الآن مستحيلة

فالخط أو الحرف الذى يسميه العامة ضرب الرمل حرام لأنه دجل وكذب ورجم بالغيب

والله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، وهو علام الغيوب

٣ — قصة نوح

مذكورة فى الجزء الثانى مع أولى العزم من الرسل

٤ — قصة هود عليه الصلاة والسلام

سيدنا هود عليه الصلاة والسلام هو نبى من نسل سام بن نوح عليه السلام ، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم عاد ، وهم قوم كانوا يسكنون الجبال فى أرض الأحقاف ، وهى تقع فى شمال حضرموت من بلاد اليمن ، وكانوا ماهرين فى العمارة فبنوا فى بلادهم أبنية لطيفة متينة ، وكانوا يعبدون الأوثان من دون الله تعالى كما كان من قبلهم قوم نوح يعبدون الأصنام ، فدعاهم هود إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس قائلا لهم :

ياقوم ، اعبدوا الله وحده لا شريك له دون ماتعبدون من الآلهة والأوثان ، واعلموا أنه مالكم من إله غيره ، ولا معبود سواه ، فأخلصوا له العبادة، واعلموا أنكم فى إشراككم معه الآلهة والأوثان مفترون مكذبون تختلقون الباطل

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ هود

وكان هو يبين لهم أنه لايطلب على نصيحته لهم أجرا يأخذه منهم ، وأنه لايطلب الأجر على ذلك إلا من الله تعالى الذى خلقه ويقول لهم : افهموا وتعقلوا أنى لو كنت أبتغى بدعايتكم إلى الله غير النصيحة وطلب السعادة لكم فى الدنيا والآخرة لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا وطلبت منكم الأجر والثواب

قال تعالى : ﴿ يَاقَوْمِ لاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ هود

ثم أخذ يقول لهم : إن الواجب عليكم أن تتقوه ، وأن تتوبوا اليه وأن تستغفروه ، حتى يرسل عليكم المطر من السماء ، يدرُّ لكم الغيث وقت حاجتكم اليه ، فتحيا بلادكم من الجدب والقحط ، ويرزقكم المال والبنين ، فتزداد قوتكم وسعادتكم فلا ترجعوا عما دعوتكم اليه من توحيد الله،ولا تكونوا مجرمين كافرين بالله

قال تعالى : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ هود

وكان فى قوم عاد ناس قد عتوا ورأوا كبراً على أنفسهم أن يمتنعوا عن عبادة الأوثان ، وغلبت عليهم الشقاوة والكفر ، وكانوا الجمهور

الأعظم ، فسفهوا هوداً وكذبوه، ولم يأخذوا بأقواله ، وقالوا له : إنا لنراك فى سفاهة ونظن أنك من الكاذبين

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الأعراف

ثم قالوا له : ياهود ماجئتنا ببيان ولا برهان على صحة ماتقول،فنسلم لله وتقرّ بأنك صادق فيما تدعونا اليه من توحيدالله ، والإقرار بنبوتك ونحن لانترك آلهتنا لمجرد قولك ، وما نحن لك بمؤمنين ومصدقين بما تدعى من النبوة والرسالة

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَاهُودُ مَاجِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ هود

فراجعهم هود وقال لهم: ليس بى سفاهة، ولكنى رسول من رب العالمين ، لأبلغكم رسالة ربى ، وما كان الله ليرسل الى عباده بسفيه يكون الضرر برسالة أكبر وأعظم من النفع بها ، وإنى لكم ناصح أمين ، وأخلص الناصحين، فاقبلوا نصيحتى .فانى أمين على وحى الله وعلى ما ائتمننى الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا أزيد عليه ولا أبدل

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعراف

ثم قال لهم : هل أخذكم العجب أن الله أنزل وحيه بتذكيركم ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه ؟

قال تعالى : ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ﴾ الأعراف

وذكّرهم هود ماحل بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم وقال لهم : إن الله جعلكم خلفاء فى الأرض بعد قوم نوح لما أهلكهم ، فاتقوا الله وخافوا أن يحل بكم ماحل بهم من العقوبة فيهلككم، ويبدل منكم غيركم، سنته فى قوم نوح قبلكم، على معصيتكم إياه وكفركم به، مع أنه زادكم فى الخلق بسطة ، فزاد فى أجسادكم طولا وعرضا وعظما ، على أجسام قوم نوح، وفى قوامكم على قوامهم نعمة منه بذلك وفضلا عليكم، فاذكروا نعمة الله وفضله، واشكروا الله على ذلك بإخلاصكم العبادة له ، وترك الاشراك به ، وهجر الأوثان والأنداد لعلكم تفلحون ، فتنالوا البقاء والخلود فى دار النعيم فى الآخرة

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الأعراف

فقالوا لهود : أجئتنا تتوعدنا بالعذاب من الله على مانحن فيه من الدين كى نعبد الله وحده،وندين له بالطاعة خالصا، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام، التى كان آباؤنا يعبدونها، ونتبرأ منها،فلسنا فاعلين ولا متبعين دعوتك،فان كنت صادقا فيما تدعيه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب

قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الأعراف

فأجابهم هود : لقد حل بكم سخط وغضب من الله، هل تجادلوننى فى الأصنام التى سميتموها أنتم وآباؤكم وهى لاتضر ولا تنفع ؟ وما جعل الله لكم فى عبادتها من حجة ولا معذرة ، لأن العبادة لاتكون إلا لمن ضر ونفع،وأثاب على الطاعة ، وعاقب على المعصية ، ورزق ومنع ، فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس ، فانها لاتضر ولا تنفع ، فانتظروا حكم الله فينا وفيكم، إنى معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه

قال تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ الأعراف

ازداد قوم هود فى تكذيبه، واتهموه فى عقله، وقالوا له : إن الذى

حملك على ذم آلهتنا، والنهى عن عبادتها، هو أن يكون قد أصابك منها خبل وجنون ، فأنت عندنا فى حكم أهل العته والجنون

قال تعالى : ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اُعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ هود

سمع هود ذلك منهم فقال لهم : إنى أشهد الله تعالى وأشهدكم إنى برئ من تلك الآلهة التى تزعمون أن لها القدرة على أن تمسنى بسوء ، فاحتالوا أنتم جميعاً وآلهتكم فى ضررى و إيذائى،ثم انظروا هل يمكنكم أن تصيبونى بسوء ؟ كما تزعمون أنه أصابنى سوء من آلهتكم

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴾ هود

واعلموا بأنى متوكل على الله الذى خلقنى وخلقكم ، وواثق بأنه لا يصيبنى منكم أو من غيركم سوء بغير إذنه ، فانه ليس من شئ يدب على وجه الأرض إلاَّ والله مالكه، وقابض على ناصيته، وتحت سلطانه، ذليل خاضع له ، وأنه المقيم على جميع خلقه ، عادل فى حكمه ، يجازى المحسن بإحسانه،والمسئ باساءته ، لا يظلم أحداً منهم شيئاً، ولا يقبل منهم إلا الاسلام والإيمان

قال تعالى : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هود

ثم أعلمهم هود عليه السلام بأنهم إذا تولوا وأدبروا معرضين عما يدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان ، فانه قد قام بالواجب من إبلاغهم رسالة ربه (وَمَا عَلَى الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ) وأن الله تعالى بعد ذلك سيهلكهم ويَسْتَخْلِفُ قوماً غيرهم يوحدونه ويخلصون له العبادة، وأنهم لايضرونه شيئاً، اذا أراد إهلاكهم،فهو الحفيظ على كل شئ وكل شئ فى قبضته وقدرته

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فقدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّى عَلَى كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظ ﴾ هود

لم يزل هود ينصح لقوم عاد ، ويعلمهم أنه رسول أمين ، ويحذرهم ويقول لهم : ألا تخافون الله، وتحسبون لبطشه حساباً ، ويكرر القول لهم : أن اتقوا الله وأطيعونى ، وما أسألكم على هدايتكم للطريق القويم أجراً ، فان أجرى على الله رب العالمين . أتبنون بكل طريق أعلاما للعبث،لأنكم فى غيرحاجة اليها ؟ وتتخذون قصورا فخمة لسكناكم رجاء أن تعيشوا فيها مخلدين . واذا أخذتم قوماً فى حرب أو بقصد فتح أو غزو أخذتموهم بعنف الجبابرة وقسوة النماردة فاتقوا الله وأطيعونى وخافوا الله الذى أمدكم من النعم بما تعلمونه أمدكم بمواشٍ وأولاد وجنات

تحيط بها العيون الكثيرة الغزيرة المياه . إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الأهوال شديد المخاوف

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَاتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء

فقالوا له : إننا لدعوتك مكذبون، سواء علينا أوعظتنا أم لم تكن من الواعظين ، وما الذى نحن عليه من الأخلاق والعادات إلا خلق الأولين وعاداتهم، جرينا وجرى الناس عليها، وما نحن بمعذبين عليها كما تنذرنا به

قال تعالى : ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء

فلما استكبر قوم عاد على ربهم ، وعصوا رسوله هوداً ، وتجبروا فى الأرض، تكبراً وعتواً بغير ما أذن الله لهم به وقالوا: مَن أشد منا قوة ؟ وكانوا بآيات الله يجحدون ، ولم ينظروا أن الذى خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق ، وشدة البطش ، هو أشد منهم قوة و بطشا فيحذروا عقابه و يتقوا سطوته لكفرهم به وتكذيبهم رسله وجحدهم بآياته، أرسل عليهم ريحًا صرصراً،أى ريحًا شديداً، فى أيام نحسات (أى أيام مشئومات متتابعات) أذاقهم فيها عذاب الخزى فى الحياة الدنيا وأعد لهم فى الآخرة عذابا أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا فلا ينصرهم الله يوم القيامة ولا ينقذهم منه

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ فصلت

وقد أرسل الله عليهم الريح الشديدة فى مدة سبع ليال وثمانية أيام حسوما، وأهلكهم عن آخرهم، فلم تبق منهم أحدا ، وكان القوم فيها

صرعى،مذهولين مما أصابهم،وصارت أجسامهم كأنها أعجاز نخل خاوية (أى أصول نخل قد خوت) فلا يرى لها من أثر

قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ الحاقة

وهؤلاء القوم الذين جحدوا بأدلة الله وحججه ، وعصوا رسله واتبعوا كل جبار عنيد ، قد أحل الله بهم نقمته ، واستحقوا لعنة الله وغضبه ، وسخطه فى الدنيا ، وسيتبعهم يوم القيامة لعنة مثلها ؛ لأنهم كفروا بنعمة ربهم، فأبعدهم الله من الخير

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ هود

وصار يضرب بهم المثل فى شدة العذاب حيث يقال :

(ألم تر كيف فعل الله ببنى عاد أصحاب ارم ذات العماد) أى رفيعة القدر التى لم يوجد مثلها فى البلاد

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ﴾ الفجر

ولقد نجى الله تعالى هوداً والذين آمنوا معه برحمة من ذلك العذاب الغليظ فى الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ هود

وقوم عاد الذين هلكوا هم عاد الأولى ؛ وأما عاد الثانية فهم سكان اليمن من قحطان وسبأ

ويقول أهل حضرموت: ان هوداً عليه الصلاة والسلام سكن بلاد حضرموت بعد هلاك عاد الى أن مات ودفن فى شرق بلادهم على بضعة مراحل من مدينة تريم ، والله أعلم

العبرة من قصة هود عليه السلام مع قوم عاد

يستخلص من قصة هود عليه السلام، أنه كان انسانا وقورا رزينا يزن الكلام قبل القائه ، ونه كان رجلا حليما كريما ، لايقابل الشر بمثله بل يستعمل اللين فى كلامه، مع قومه والتلطف فى إسداء النصيحة الخالصة لهم، ابتغاء وجه الله لايريد جزاء ولا شكوراً

وأنه كان حكيما فى تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم ، وترغيبهم فى

الإيمان ودعوتهم إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، عملا بقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ مبينا لهم ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم من أموال وبنين وبساتين وأنهار ، وأنه زادهم بسطة فى الخلق ، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وأن إيمانهم يستوجب رضاء الله تعالى عنهم ، فيرسل السماء مدراراً لسقى زروعهم وانبات الكلأ ، وأنه تعالى يزيدهم قوة الى قوتهم وعزاً الى عزهم

وأنه مع مشاكستهم له ، وافترائهم عليه ، وتكذيبهم إياه ، ورميهم إياه بالجنون والسفه ، لم يزد فى جوابه على أن قال لهم : لم يكن بى سفاهة وانى أشهد الله ، وأشهدكم أيضا انى برئ مما تشركون ، وان اعتمادى وتوكلى على الله ربى وربكم ، القابض على كل شئ ، والآخذ بناصية كل دابة على وجه الأرض

ان الذى يتولى عظة الناس وارشادهم والنصح لهم ، ينبغى أن يكون مثل سيدنا هود عليه السلام فى سعة الصدر والتسامح ، وعدم مقابلة الشر بمثله ، وتحمل الأذى رجاء أن يظفر ببغيته ، ويفوز بهدايتهم أو هداية بعضهم ، وأن يكون جوابه عند اليأس والفشل بعد بذل الجهد

واستنفاد أساليب الترغيب والنصح والارشاد ماقاله هود عليه السلام : انى قمت بالواجب عليَّ من تبليغ رسالات ربى، وما على الرسول إلّا البلاغ ، وان ربى على كل شئ حفيظ ، فهو القادر وحده على أن يستخلف قوما غيركم ولا تضرونه شيئا

أما عاد الذين كفروا بربهم وعصوا رسوله هوداً فكانت عاقبتهم الهلاك والدمار واستحقوا عذاب الله ولعنته ونقمته .

٥ – قصة صالح عليه الصلاة والسلام

سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام هو ابن عبيد بن جابر بن ثمود وثمود هى القبيلة التى سميت باسم جدها ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح

وكانت مساكنهم (بالحجر) وهى المعروفة (بمدائن صالح) بين الحجاز والشام فى الجنوب الشرقى من أرض مدين وهى مصاقبة (أى مجاورة) لخليج العقبه

وكانوا يتخذون من الجبال بيوتا،وكانوا يعبدون الأصنام كقوم عاد فأرسل الله الى ثمود أخاهم صالحًا من أوسطهم نسبًا وأكرمهم حسبا فقال لهم : ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة ، فمالكم من إله غيره ، وهو الذى أنشأكم من الأرض ومنحكم من القوى الجسدية والعقلية مايمكنكم من عمرانها فاستغفروه من ذنوبكم، ثم توبوا اليه فانه قريب الرحمة مجيب لمن دعاه

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاُسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاُسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ هود

فقالوا له : ياصالح لقد كنت فينا قبل هذا محل رجائنا ، لما نرى

فيك من علامات الحكمة وإصالة الرأى ، أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا إننا لفى شك مما تدعوننا اليه إنه يوجب الريبة

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُواً قَبْلَ هٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴾ هود

فقال لهم : ياقوم خبرونى ، هل لو كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته وآتانى النبوة والحكمة والإسلام ، فمن ينصرنى من الله إن عصيته؟ فما تزيدوننى بنصرتكم إياى لو عصيت إلا خسارا

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّى وَآتَانِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ هود

ثم أخذ صالح يمحض لهم النصح ويقول لهم : يا قوم ألا تخشون ربكم فتطيعوا أمره وتعبدوه؟ إنى لكم منه رسول أمين عليكم ، حفيظ على مصالحكم ، فاحذروا الله وأطيعونى ، ولست بمطالبكم بجُعل أو أجر على صلاح أموركم ، فما أجرى إلا على رب العالمين ، أحيل لكم أنكم تهملون فى دياركم آمنين ، وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر والظلم المبين وتتركون راتعين فى جنات وعيون وزروع ونخل ثمرها لطيف بين ،

وتنحتون من الجبـال بيوتا نشيطين ، فخافوا الله وأطيعونى ولا تتبعوا وسوسة المسرفين على أنفسهم الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هٰهُنَا آمِنِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾

الشعراء

قالوا له : إنما أنت من الذين سحروا مرات متعددة ففسد عقلهم وما أنت إلّا رجل مثلنا ، فأت بمعجزة إن كنت من الصادقين

قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الشعراء

فقال لهم : معجزتى هـذه الناقة التى أخرجها الله دليلا على نبوتى وصدق مقالتى ، وهى من المعجزات التى لا يقدر على مثلها إلا الله ؛ لأنه خلقها على خلاف سنته تعـالى فى خلق الابل وصفاتها ، إذ لم يخلق فى الابل سواها ناقة تختص بالشرب يوما ، وأهل ذلك المـاء يوما آخر ،

وتعرف يومها الخاص ولا تقرب الماء فى يوم أهلها، فلا تمسوها بسوء وإلّا حاق بكم العذاب

قال تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء

ثم أخذ يحذرهم بألّا يتعرض أحد من ثمود لهذه الناقة وألا يمسها بسوء فى نفسها ولا فى أكلها ولا فى شربها فى الماء الخاص بها الذى كان قسمة بينهم وبينها ، وأنذرهم بالوعيد والعذاب الشديد الذى يحل بهم متى اعتدوا عليها فى أحد هذه الأشياء

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الأعراف

وبذل صالح الجهد فى تذكيرهم بأنهم خلفاء من بعد قوم عاد ، وأن الله أنزلهم فى الأرض وجعل لهم فيها مساكن وأزواجا يتخذون من سهولها قصورا ، وينحتون من الجبال بيوتا، وذكرهم بنعمة الله عليهم ، وحذرهم بألّا يعثوا فى الأرض مفسدين، وألا يتكبروا عن عبادة الله

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ

فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف

فقال السادة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباعه والإيمان بالله وبه للذين استضعفوا من أتباع صالح والمؤمنين به : أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله الله إلينا وإليكم ؟

قال الذين استضعفوا وآمنوا بصالح : انا بما أرسل الله به صالحا من الحق والهدى مؤمنون مصدقون مقرون أنه من عندالله وأن الله أمره به

فقال المستكبرون : إنا أيها القوم بالذى آمنتم به كافرون ومنكرون الذى جاء به ولا نصدقه ولا نقره

قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِى آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ الأعراف

وأمسكوا الناقة التى أمرهم الله ألَّا يمسوها بسوء فعقروها ، أى نحروها متجاوزين حدود الله وأوامره ، وقالوا لسيدنا صالح : ائتنا بما توعدنا به من العذاب إن كنت من المرسلين

قال تعـالى . ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأعراف

فقال لهم : تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ثم بعـد ذلك ترون عذاب الله ؛ وهذا وعد غير مكذوب ، فأخذتهم الرجفة أى الزلزلة والصيحة التى زعزعتهم وحركتهم للهلاك، فأصبح الذين أهلكهم الله من ثمود فى دارهم أى فى أرضهم التى هلكوا فيها خامدين هامدين لايتحركون

قال تعـالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ الأعراف

فأعرض عنهم صالح وقال لهم : ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى وأديت اليكم ماأمرنى به ربى، ونصحت لكم وحذرتكم بأسه وبطشه باقامتكم على كفركم به وعبادة الأوثان ؛ ولكن لاتحبون الناصحين لكم فى الله

قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ الأعراف

ولمـا جاء ثمود عذاب الله ، نجى صالحاً والذين آمنوا معه برحمـة وفضل من الله ، ومن خزى ذلك اليوم ، فإن الله هو القوى العزيز ، فلا يغلبه غالب ، ولا يقهره قاهر

قالى تعـالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ هود

وقيل : ان الذين نجوا مع صالح كانوا مائة وعشرين ، وأنهم ذهبوا الى الرملة ونواحى فلسطين ، ويقول أهل حضرموت : أنهم ذهبوا الى حضرموت وأقاموا بها؛ لأن أصلهم من تلك الناحية، ولأنهم من أهل الأحقاف ، وهناك قبر يزعمون أنه لصالح عليه السلام، وبعضهم يقول: أنهم ذهبوا الى مكة وأقاموا بها الى أن ماتوا ، والله ورسوله أعلم

٦ – قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام

مذكورة فى الجزء الثانى

٧ – قصة لوط عليه السلام

لوط عليه السلام هو ابن أخى ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد هاجر معه من أرض بابل الى أرض الشام المباركة لقوله تعالى :

﴿ونَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء وهى الأرض المقدسة التى بعث الله منها أكثر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين

وقد أرسله الله تعالى الى أرض (سدوم) وكانت أرض كفر وفواحش ، وكان قوم لوط من المجرمين الفاسقين ؛ وكانوا يقطعون الطريق على السابلة ، وقد ذهب الحياء من وجوههم فلا يستقبحون قبيحا ، ولا يرغبون فى حسن ، كما قال الله تعالى :

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ العنكبوت

وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات مالم يسبقهم اليه أحد من الخلق ، وذلك أنهم كانوا يأتون الذكور شهوة من دون النساء يستعلنون بذلك

ولا يستترون ، ولا يرون فى ذلك سوءاً أو قبحاً، وأن لوطا عليه السلام قد وعظهم ونصحهم ونهاهم عن هذا الفعل الذميم ، وخوفهم بأس الله تعالى و بطشه ، ودعاهم الى عبادة الله تعالى فلم يسمعوا لقوله ولم يرتدعوا

فلما ألح عليهم بالعظات والإنذار هددوه تارة بالرجم،وطوراًبالاخراج من بينهم الى أن جاء الى لوط الملائكة

فلما جاءت الملائكة لوطا ساءه مجيئهم ، فضاق بهم ذرعا ، لأنه علم أنه سيحتاج الى المدافعة عن ضيوفه ضد قومه المجرمين ، ولذلك قال فى نفسه : هذا يوم عصيب أى يوم شديد

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ هود

وأقبل قومه اليه مسرعين طالبين ضيوفه الحسان ليفعلوا بهم الفاحشة كما هى عادتهم من قبل ، فقال لهم : ياقوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم فتزوجوا بهن(وأراد نبى الله أن يقى أضيافه ببناته) ذكر بعض المفسرين أن البنات هنا لسن بناته لصلبه بل يريد البنات من جميع أمة الدعوة يعرض التزوج منهن شرعا، إن كنتم فاعلين ، وهذا خير لكم مما تريدون من الفاحشة من الرجال ، فاخشوا الله واتقوه ، ولا تفضحونى فى ضيفى ولا تذلونى باتيان السوء معهم ، أليس فيكم رجل عاقل رشيد يعرف الحق و ينهى عن المنكر ؟

﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ هود

فأجابوه : لقد علمت يالوط إن بناتك لسن لنا أزواجا بحق ، وأنت تعلم مانريد إنا نريد الرجال لا النساء

﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَالَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَانُرِيدُ ﴾ هود

فلما لم يتناهوا عن غيهم ، ولم يردعهم قوله ، ولم يقبلوا منه شيئا مما عرض عليهم من أمر بناته ؛ قال لوط : لو أن لى بكم قوة ؟ أى لو أن لى أنصار تنصرنى عليكم ، وأعوان تعيننى ، أو آوى الى ركن شديد ، أو أنضم الى عشيرة مانعة تمنعنى منكم ، لحلت بينكم وبين ماجئتم به تريدونه منى فى أضيافى

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ هود

وقيل : إن لوطا لما قال ذلك وجدت الرسل عليه وتكدرت وقالوا : إن ركنك لشديد

وقالت الملائكة للوط لما سمعوا هذا القول منه ، ورأوا مالقى من الكرب بسببهم : إنا رسل ربك أرسلنا لاهلاكهم ، وأنهم لن يصلوا

اليك بسوء ، ولا الى ضيفك بمكروه ، فهوّن عليك الأمر ، فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك فى جوف الليل ، ولا يلتفت أحد منكم إلّا إمرأتك ، فانه سيحل بها من السخط والعذاب ماحل بهم ، لأنها كانت كافرة غير مؤمنة (والتفتت اليهم وأعجبها حسنهم) وأن موعد هلاكهم الصبح . فاستبطأ ذلك لوط ، وطلب منهم تعجيل الهلاك ، فقالوا له : أليس الصبح بقريب ؟ وذلك قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ هود

ولما جاء أمر الله بهلاكهم جعل عالى قريتهم سافلها ، وأمطرها حجارة من (سجيل) أى من طين (منضود) أى متتابع بعضه إثر بعض (مسوَّمة) معلمة عند الله . فأهلكها بمن فيها وما حولها من المؤتفكات ، ونجى الله لوطا ومن معه من أهله إلا إمرأته فانها هلكت فيمن هلك وذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ هود

٨ — قصة اسماعيل عليه السلام

جاء فى قصة سيدنا ابراهيم الخليل أن زوجته السيدة الطاهرة (سارة) كانت عاقراً لا تلد ، وكان ملك مصر قد أعطاها جارية مصرية اسمها (هاجر) فوهبتها له ، فولد منها (اسماعيل) عليه السلام

ولكن الله سبحانه وتعالى القادر على كل شئ أرسل الملائكة الى سيدنا ابراهيم فقالوا له : إنا جئنا لنبشرك بغلام عليم . فراجعهم قائلا : أبشرتمونى على أن مسنى الكبر وصار لا يرجى لمن كان مثلى أن يلد و إمرأتى عاقر قد بلغت سن اليأس

وكانت السيدة (سارة) تسمع كلام الملائكة لسيدنا ابراهيم، فضحكت من هذه البشرى العجيبة وقالت : كيف ألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً ؟ وأبدت غاية الاستغراب ، فقالت لها الملائكة: إن هذا وعد من الله القادر وذلك قوله تعالى :

﴿ ولَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَاتَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ اسْحَقَ

يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَاوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ هود

فلم يحل الحول على (سارة) وهى بنت تسعين سنة حتى حملت (باسحٰق) ولما ولدته اسمته (يصحق) وترجمتها (يضحك) تريد أن كل من سمع بولادة هذا الولد من أبوين شيخين يضحك لما فى هذه الولادة من الغرابة؛ وقد آل أمره الى أن يكون نبيًا لقوله تعالى : فى سورة الصافات ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وستأتى قصته

وقد أخذت السيدة (سارة) الغيرة من (اسماعيل بن هاجر) وحبها أن يرث ابنها اسحق وحده ابراهيم دون اسماعيل كما هى غيرة النساء ، لأنها إمرأة تحب لابنها مالا تحب لابن ضرتها، فطلبت من ابراهيم أن يبعد عنها هاجر وابنها اسماعيل ، وأصرت على ذلك ، فأوحى الله الى ابراهيم عليه السلام أن يأتى بالسيدة هاجر وابنها اسماعيل الى مكة ، فذهب بها حتى قدم مكة ، فوضعها هناك فى هذه البقعة التى لانبات ولا ماء ولا أنيس فيها ، ورجع الى فلسطين بعد أن دعا لهما أن يتولاهما الله بعنايته وحفظه ، قال الله تعالى على لسان ابراهيم :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ابراهيم

ولما نفد الماء من هاجر عطشت ، واقطع لبنها ، فعطش الصبى (اسماعيل) فنظرت، أى الجبال أدنى من الأرض ؟ فصعدت (الصفا) فتسمعت، هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا؟ فلم تسمع فانحدرت،فلما أتت على الوادى سعت فنظرت ، أى الجبال أدنى من الأرض ؟ فصعدت (المروة) فتسمعت ، هل تسمع صوتا أو ترى أنيسا ؟ فسمعت صوتا فقالت : قد أسمعتنى صوتك ، فأغثنى فقد هلكت وهلك من معى . فجاء الملك وجاء بها حتى انتهى بها الى موضع (زمزم) فضرب بقدمه ففارت عين فعجلت الانسانة (هاجر) فجعلت فى شنتها (زمزميتها) أى لما أبصرت هاجر الماء ، قامت واستقت لنفسها ولابنها اسماعيل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس فى هذا الحديث : رحم الله أم اسماعيل لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معينا تجرى الى يوم القيامة

وقال لها الملك : لاتخافى الظمأ على أهل هذا البلد ، فانما هى عين لشرب ضيفان الله « ومن وقتها للآن يشرب الحجاج من ماء زمزم

ويأخذون معهم جزءاً منه تبركًا به

ومن وقتها للآن والحجاج يسعون بين الصفا والمروة سبع مرات لأنها صارت سنة مشروعة

وقال: ان أبا هذا الغلام (ابراهيم عليه السلام) سيجئ فيبنيان لله بيتا هذا موضعه . قال : ومرت قافلة من (جرهم) تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا : ان هذا الطير لعائف على ماء فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا . فأشرفوا فاذاهم بالانسانة (هاجر) فأتوها فطلبوا اليها أن ينزلوا معها فأذنت لهم . قال : وأتى عليها (أى على هاجر) مايأتى على هؤلاء الناس من الموت فماتت

زواج اسماعيل وزيارة والده له

وتزوج اسماعيل عليه السلام إمرأة منهم ، فجاء ابراهيم فسأل عن منزل اسماعيل حتى دل عليه فلم يجـده ، ووجد إمرأة له فظة غليظة فقال لهـا : إذا جاء زوجك فقولى له جاء هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك إنى لا أرضى لك عتبة بابك فحولها ، وانطلق

فلما جاء اسماعيل أخبرته ، فقال ذاك أبى وأنت عتبة بابى فطلقها ، وتزوج إمرأة أخرى منهم ، وجاء ابراهيم حتى انتهى الى منزل اسماعيل فلم يجده ، ووجد إمرأة له سهلة طليعة فقال لها : أين انطلق زوجك ؟

فقالت : انطلق الى الصيد . « وكان اسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع » قال : فما طعامكم ؟ قالت : اللحم والماء . قال : اللَّهم بارك لهم فى لحمهم ومائهم . اللَّهم بارك لهم فى لحمهم ومائهم (قالها ثلاثا) وقال لها : إذا جاء زوجك فأخبريه وقولى له : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا وأنه يقول لك قد رضيت لك عتبة بابك فأثبتها

فلما جاء اسماعيل أخبرته : قال ذاك ابراهيم أبى، فلبث ماشاء أن يلبث، وأمره الله ببناء البيت فبناه هو واسماعيل . فلما بنياه قيل : أذن فى الناس بالحج، فجعل لايمرّ بقوم إلَّا قال : أيها الناس انه قد بنى لكم بيت فحجوه ، فجعل لا يسمعه أحد ولا صخرة ولا شجرة ولا شئ إلا قال لبيك اللَّهم لبيك ، وأصبح الحج فرضا على كل مسلم أن يؤديه متى استطاع لذلك سبيلا

أولاد اسماعيل عليه السلام

قد رزق اسماعيل عليه السلام اثنى عشر ولداً كانوا رؤساء قبائل وسميت بالعرب المستعربة

بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة (البيت الحرام)

لما أمر الله ابراهيم عليه السلام ببناء الكعبة سار من الشام الى مكة ،

وقدم على ابنه اسماعيل عليه السلام وقال له : يأسماعيل إن الله تعالى قد أمرنى أن أبنى له بيتاً

فقال له اسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك

فقال ابراهيم : وقد أمرك أن تعيننى عليه . فأجابه : سمعاً وطاعةً

فقام معه اسماعيل وصدعا بالأمر ، وبنيا الكعبة ، وكان ابراهيم عليه السلام يبنى ، واسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ويناولها لوالده ، الى أن رفعا قواعد البيت وأتما بناءه وهما يدعوان الله قائلين :

ربنا تقبل منا أعمالنا لك إنك أنت السميع للداعين العليم بأحوالهم

ربنا اجعلنا مخلصين لك ، واجعل من ذريتنا أمة مخلصة لك ، وأرشدنا الى طرق عبادتك ، واغفر لنا ذنوبنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

وسألا الله بأن يبعث فى الناس رسولا منهم (وهو محمد صلى الله عليه وسلم) ليعلمهم كتاب الله (القرآن الكريم) والحكمة (أى الدين والفقه) وأن يطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان ، وأن يغرس فيهم حب الطاعة ، والاخلاص لله ، والاعتراف بأنه هو القوى العزيز الحكيم فى تصرفاته وأفعاله . وذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ

مِنَّا إِنكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة

وقد أجاب الله دعاءهما وجعل هـذا البيت الحرام مرجعاً للناس ومعاذا يأتونه كل عام للحج ويرجعون اليه ، كما أنه جعله أمنا لهم يأوون اليه من المخاوف لقوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾ البقرة

وأنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آية باتخاذ مقام ابراهيم (وهو الحجر الأسود الذى قام عليه حين ارتفع بناء البيت وضعف عن رفع الحجارة ؛ وقيل هو مقامه المعروف فى المسجد الحرام) مصلىً يصلون عنده عبادة لله وتكرمة منه لابراهيم عليه السلام . قال تعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ ابْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقره

وعهد الله الى ابراهيم واسماعيل تطهير هذا البيت الحرام من عبادة الأصنام للطائفين الذين يأتونه ويطوفون به ، سواء كانوا غرباء أو من

أهله ، وللعاكفين الملازمين له ، والركع السجود ، أى أهل الصلاة القائمين بها خير القيام . لقوله تعالى :

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ البقرة

ودعا ابراهيم ربه قائلا : رب اجعل هذا البلد (أى مكة) بلداً آمنًا من الجبابرة وغيرهم أن يسلطوا عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنال سائر البلدان من خسف وانتقال وغرق

وقيل: ان مكة منذ وُجدت حرم آمن من عقوبة الله وسطو الجبابرة

وقيل: أن ابراهيم سأل ربه ذلك لأنه أسكن فيه ذريته وكان غير ذى زرع ولا ضرع ، فاستعاذ ربه من أن يهلكهم بها جوعًا وعطشًا ، ودعاه أن يؤمنهم مما حذر عليهم منه ، كما أنه دعاه أن يرزق المؤمنين من أهل مكة من الثمرات دون كافريهم

فأجاب الله دعاءه وقال له : أجبت دعاءك وسأرزق مع مؤمنى أهل هذا البلد كافرهم أيضا ، فأمتعه قليلا برزقى من الثمرات فى الدنيا الى أن يأتيه أجله ، ثم أدفعه الى عذاب النار ، وأسوقه سحبًا وجراً على وجهه ؛ وهذا المصير السيئ لكل كافر . وذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ ابْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَداً آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ

مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة

فكانت الكعبة أول بيت وضع للناس للعبادة ، فى حين أن بقية الشعوب والقبائل فى سائر أنحاء الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتماثيل

وكان هذا البيت الحرام مباركاً وهدًى للعالمين ، ومآبا لعبادة العابدين ، وطواف الطائفين ، تعظيما واجلالا لله ، وفيه علامات وآيات بينات ، وهى مقام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، والمشعر الحرام ، وكل من دخله كان آمنا على نفسه من المخاوف ، ومن عذاب النار لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾
آل عمران

طاعة اسماعيل لوالده ابراهيم عليهما السلام

لذبحه امتثالا لأمر ربه وشجاعته

جاء فى القرآن الكريم قصة ذبح ابراهيم لولده اسماعيل عليهما السلام ، وقيامه بذلك امتثالا لأمر ربه الى أن أوحى اليه بالامتناع

عن ذبحه وفدائه بكبش عظيم عوضا عنه وهى :

ان سيدنا ابراهيم عليه السلام رأى فى منامه أنه يقدم على ذبح ولده اسماعيل ليقدمه قربانا لله ، فصدع بالأمر الصادر اليه فى المنام (ومنام الأنبياء وحى من الله فهو صدق وحق)

ولما عرض الأمر على ولده اسماعيل عليه السلام تقبله بالقضاء والرضاء ، وقال لوالده: يأبت افعل ماتؤمر، ستجدنى إن شاء الله مطيعاً لأمر ربى، وستجدنى من الصابرين، لقوله تعالى :

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَأَبَتِ افْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

الصافات

فلما استسلما لأمر الله ، وصرع ابراهيم ولده اسماعيل على وجهه ليذبحه ، نودى يأبراهيم لقد صدقت الرؤيا بالحق فكف عن ذبح ولدك . فالتفت فاذا بكبش كبير ، فأخذه وذبحه وأخلى سبيل ابنه ، وأكب على ابنه يقبله وهو يقول : اليوم يابنى قد وُهبت لى ، ويقول الله مامعناه : إنا كما جزيناك خيراً واحسانا منا لطاعتك لنا يابراهيم كذلك نجزى الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا على مرضاتنا، قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ

الرُّؤْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات

وان أمرنا اليك يأبراهيم بذبح ابنك لهو اختبار منا اليك ، يظهر لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحقة عظيمة

ولقد فديناه بكبش عظيم ، وأنقذناه من الذبح ، وأبقينا له الثناء الحسن فى الآخرة ، وتلك منّة من الله لابراهيم أن يذكره من بعده بالذكر الجميل. وذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾ الصافات

واليهود يزعمون أن الذبيح هو اسحٰق لا اسماعيل ، وهذا خلاف ماقرره العلماء ، والله تعالى أعلم

وفاء اسماعيل عليه السلام وصدقه

إن اسماعيل عليه السلام كان صادق لايكذب ، ووفيا لايخلف وعده ، ولذا قال الله فى حقه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ اسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ مريم

أى أذكر يا محمد فى القرآن الذى أوحينا به اليك أن اسماعيل بن ابراهيم كان لايكذب ، ولا يخلف وعده ، فكان إذا وعد ربه أو عبداً من عباده وعداً ، قام وأوفى به

قال سهيل بن عقيل : إن اسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه ، فجاء ونسى الرجل ، فظل اسماعيل وبات حتى جاء الرجل فى الغد ، فقال له : ما برحت من هٰهنا ؟ قال : لا . قال الرجل : إنى نسيت . قال اسماعيل : لم أكن لأبرح حتى تأتى . فهكذا يكون الصدق والوفاء من الأنبياء

وكان ابراهيم عليه السلام ، يأمر أهله باقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة وكان عمله هذا عند ربه مرضيًا محموداً لقوله تعالى :

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ مريم

رسالة اسماعيل الى الناس

وقد أرسل الله تعالى اسماعيل عليه السلام الى قبائل اليمن ، والى العماليق ليدعوهم الى وحدانية الله وعبادته ، وكانت العمالقة ساكنين فى جزيرة العرب من جهة الشام

ولما تكاثر نسله ، وبارك الله فيه ، وجعل له القوة على غيره ، أخرج العماليق فانتشروا فى جهات كثيرة ، وكانت لهم اليد العليا فى كل ناحية وصلوا اليها

عمر اسماعيل ووفاته

قيل : ان اسماعيل عليه السلام عاش ١٣٧ماية وسبعا وثلاثين سنة وقيل : أنه مات بفلسطين، ولكن مؤرخو العرب قالوا: انه مات بمكة ويظن أنه دفن (بالحجر) الذى بجوار البيت الحرام هو وأمه ، والله أعلم

٨ — قصة اسحق عليه السلام

سيدنا اسحٰق عليه السلام ويقال له (يصحق) بالعبرانية ومعناها يضحك ؛ هو ابن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من زوجته السيدة (سارة) و إنما سمى بذلك لأن أمه ضحكت فى نفسها حينما بشرها الملك بأن يكون لهـا ابن وهى قد شاخت وفاتت سن الولادة ، وكذلك ابراهيم قد بلغ من العمر المائةسنة،ولـكن لما كان وعدالله لابراهيم باقامة النسل من ولده اسحٰق لم يخلف الله وعده؛ وولد اسحٰق سنة ٢١٠٨ قبل الميلاد، وكان به لوالديه فرح لايوصف

ولمـا رأت السيدة سارة أنه قد صار لها ابن كبر عليها أن يشترك معه فى ميراث أبيه اسماعيل ابن جاريتها (هاجر) فطلبت من ابراهيم أن يقصيه وأمه عنها ، وأراد الله ماطلبته كما مرّ ذلك فى قصة اسماعيل عليه السلام

ولم يذكر فى القرآن الـكريم من قصة اسحٰق عليـه السلام إلَّا البشارة به ، وأنه غلام عليم ، وأنه نبى من الصالحين ، وأن الله بارك عليه لقوله تعالى :

﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى اسْحٰقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ الصافات

وأنه من عباد الله المخلصين ، ومن أهل القوة والطاعة على عبادته ، ومن ذوى العقول الراجحة الذين خصهم الله بحسن الذكرى فى الدار الآخرة ، فعملوا لها فى الدنيا ، وأنه من الذين اصطفاهم الله من الأخيار، واختارهم لطاعته ورسالته الى خلقه لقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ص

وان الله سبحانه وتعـالى وهبه وتفضل به على ابراهيم ليكون من الرجال العاملين بطاعة الله ، المجتنبين لمحارمه ، وجعله من الأئمة الذين يهدون النـاس الى طريق الحق ، ويقتدى بهم فى العمل بأمر الله ، والدعوة الى عبادته من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة لقوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ الأنبياء

هذا ماجاء فى القرآن الـكريم من ذكر قصة اسحق عليه السلام أما قصته فى التوراة فملخصها، نقلا عن كتاب قصص الأنبياء لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار (ص ٨٨) هى مايأتى :

ان ابراهيم عليه السلام لما شاخ أتى بعبده المستولى على بيته وأحلفه على أنه لا يأخذ لابنه اسحٰق زوجة من بنات الكنعانيين الموجودين فى فلسطين ، بل يأخذ له زوجة من عشيرته و بنى أبيه ، فذهب العبد الى (آرام) التى بها أسرة (ناحور) أخى ابراهيم وخطب له فتاة حسنة وهى (رفقة) بنت (بتوئيل) فأجابه والدها الى ما طلب وذهب بها الى ديار سيده

وكانت (رفقة) عزاء لاسحٰق بعد موت أمه ، وقد رزق منها بتوأمين هما (عيسو) أو عيص (و يعقوب) ، وكان خروجهما من بطنها بهذا الترتيب

وكان عيسو فى كبره مغرما بالصيد ، و يعقوب وادعا ، فأحب اسحٰق عيسو ، وأحبت رفقة يعقوب لكثرة برّه بها ، وكان فى ذلك الزمن للبكر امتياز على غيره فى الميراث بحق البكورية ، فجاء عيسو يوما متعبًا لم يظفر بصيد ، وقد هيأ يعقوب طعامه من عدس ، فأراد أن يأكل منه ، فأبى عليه ذلك ، إلّا أن ينزل له عن حق البكورية ففعل

تغرب إسحٰق

وقد جاء فى التوراة أيضًا ، أنه حصلت مجاعة فى الأرض فى عهد

اسحٰق كما حصلت فى عهد ابراهيم ، فذهب اسحٰق من بئر سبع الى (جرار) عند أبى مالك ، وقالت رفقة عن زوجها اسحٰق : انه أخى ، وهو أيضا قال : انها أختى . ورأى الرجل اسحٰق يلاعبها ، فعلم أنها زوجته ، فعاتب اسحٰق ، وحصل كما حصل فى شأن ابراهيم وسارة ، ومما يذكر أن اسحق أعطاه الله هناك أى فى (جرار) أموالا كثيرة . وعبيدا حتى حسده الأهالى حسداً شديداً الجأه الى الخروج من بينهم ، فرجع الى بئر سبع وتوطن هناك

وقد توفى اسحٰق بعد أن عاش ١٨٠ماية وثمانين سنة ودفن بمغارة فى (جيرون) وهى مدينة الخليل اليوم

١٠ – قصة سيدنا يعقوب عليه السلام

يعقوب عليه السلام هو ابن اسحٰق بن ابراهيم عليهما السلام، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم أنه نبى صالح، وأن الله هداه كما هدى نوحا من قبل لقوله تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ الأنعام

أما فى التاريخ فقيل:

قد بعث الله تعالى يعقوب نبياً إلى أهل كنعان، وكان ملكهم يومئذ (سلجم) من ولد (دارا) فلما نزل يعقوب عليه السلام أرض كنعان وبنى بها داراً واسعة نزل بها هو وأولاده، قيل هى مدينة (نابلس) وهناك مرعاه (لأنه كان صاحب زرع وماشية) فبلغ الملك ذلك فخرج بجميع جنوده يريد اهلاكه. فلما بلغ الى مكان يعقوب نظر الى دار وهنة فندم على المجىء الى هناك واجتمع مع يعقوب وجلس بين يديه وقال له: من أنت؟ وكيف نزلت فى هذا المكان بغير إذنى؟ فقال: أنا يعقوب بن اسحٰق نبى الله ابن ابراهيم خليل الله ونزلت فى هذا المكان بإذن الله تعالى، وانى بعثت لأدعوك وقومك الى الايمان

بالله تعـالى والاقرار بأنى عبده ، فان أجبت ، وإلَّا جاهدتك فى الله حق جهاده ، فغضب الملك وقال له : بِمَ تجاهدنى وليس معك جند ؟ فنظر يعقوب الى أولاده الاثنى عشرة ، وكانوا قياما على رأسه فقال : أجاهدك بالله وملائـكته وهؤلاء الأولاد . فغضب الملك وانصرف الى حصنه ، وأخـذ يعقوب يدعوهم الى دين الاسلام فلم يقبلوا ، ولم يؤمنوا ، فأمر أولاده بالجهاد ، فقـال(شمعون): يانبى الله أنا أكفيك أمر هذا الحصن ، فأذن له فوقف على باب الحصن وقال : اللهم افتح لنا وأنت خـير الفاتحين ، بسم الله إلَه ابراهيم واسحٰق ويعقوب . وضرب برجله اليمنى باب الحصن فتدكدك الحصن ، وسقطت حيطانه ومات أكثر من فيه من الخوف ، ودخل يعقوب الى الحصن وأولاده وانهزم الملك وغالب جنوده وغنموا كل مافيه ؛ ثم هاجر يعقوب وسار الى خاله (لابان) فى فلساطين فكان يسير باللـيل ويكمن بالنهار فسمى لذلك اسرائيل

فبينما هو يسير أدركه النوم فى بعض الطرق فبات متوسداً حجراً . فرأى رؤيا (ورؤيا الأنبياء وحى من الله) أن الله أوحى اليـه : أنى أنا الله لا إلَه إلا أنا إلَهك وإلَه آبائك ، وقد أورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ، وباركت فيك وفيهم ، وجعلت فيكم الـكتاب والحكم والنبوة ؛ فسار الى خاله (لابان) وكان له بنتان

(لايا، وراحيل) فتزوجها وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين ، وقد حرم الله ذلك فيما بعد لقوله تعالى :

﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَاقَدْ سَلَفَ ﴾ النساء

وكان يعقوب فى غبطة وسرور منهما ، وكان له جاريتان أختان فوهبته كل واحدة منهما جارية ، فجمع بين أختين حرتين،وأختين أمتين فولد له من (لايا) أربعة من الأسباط وهم : روبيل . ويهودا . وشمعون . ولادى : وولد له من راحيل يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين وأخوات لهما . وماتت راحيل من نفاس بنيامين ودفنت خارج بيت المقدس على الشارع الذى بقرب بيت لحم . وولدت كل من الجاريتين ثلاثة رهط من الأسباط وهم : يساخا . وزبولون . ودان . ونفتالى . وكال . واشر

وسموا بالأسباط لأن كل واحد منهم ولد له قبيلة . والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الأغصان

ثم اشتاق (يعقوب) لرؤية أمه وسار بأهله وأولاده ، وهم اثنا عشر ذكراً ، الى أرض كنعان،وكان أخوه (العيص) ذا سلاح وقوة ، وكان قد سمع بوصول أخيه فاستقبله فتلاقيا وتعانقا

وكان ليعقوب مواش كثيرة ، فأعطى العشر من غنمه لأخيه ،

فانتقل بها إلى بلاد الروم فاستوطنها فهو أبو الروم

وقيل : أن يعقوب والعيص، ماتا فى يوم واحد ؛ وقيل عاش يعقوب عليه السلام فى أرض مصر بعد أن اجتمع بولده يوسف سبع عشرة سنة وكان عمره ١٤٧ سنة مائة وسبعا وأربعين سنة ، وتوفى بمصر وحمله ابنه يوسف عليه السلام ودفنه عند قبر أبيه ابراهيم عليه السلام

وصية يعقوب لأولاده

وقد جاء فى القرآن الكريم أن سيدنا يعقوب عليه السلام أوصى بنيه بما أوصى به ابراهيم عليه السلام بنيه من الحث على طاعة الله ، والخضوع له ، واتباع قواعد الاسلام لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ البقرة

وهذه الوصية تنحصر فى قوله لهم : ان الله اصطفى لكم الدين القيم الذى قد عهد اليكم فيه فاتقوا الله ولا تموتوا إلَّا وأنتم مسلمون ، كما قال الله تعالى :

﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة

١١ — قصة يوسف الصديق

عليه السلام

يوسف الصديق عليه السلام، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم ، فهو يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام

كان جميل الصورة ، حسن الوجه ، وكان أبوه يعقوب يؤثره بزيادة المحبة على إخوته ، وكان ذلك سببا فى حقد إخوته عليه ، وسببا فى محنته التى كانت خيراً وبركة عليه وعلى مصر وعلى الأمم القريبة من مصر

وقد ذكرت قصة يوسف فى القرآن الكريم فى سورته المعلومة ، وهى مشروحة فيما يأتى :

ان يوسف رأى فى منامه أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له ، فقص هذه الرؤيا على أبيه ، وكان عمره وقتئذ اثنتى عشرة سنة . فقال له أبوه : يابنى لاتخبر إخوتك بهذه الرؤيا فيدبروا حيلة لاهلاكك لأن الشيطان للانسان عدو مبين ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَاتَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

وكما أن الله اصطفاك فأراك هذه الرؤيا ، يصطفيك للنبوة والملك ، و يعلمك تعبير الرؤيا ، ويتم نعمته عليك بالنبوة ، وعلى آل يعقوب بالتقوى والصلاح ، كما أتمها على أبويك ابراهيم واسحٰق من قبل ، ان ربك عليم بأهل الفضل ، حكيم لايقضى إلَّا ماينبغى أن يكون ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ ابْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

حسد وحقد إخوته عليه واتفاقهم على قتله

ولما رأى أبناء يعقوب شدة حب أبيهم ليوسف وإيثاره عليهم اشتد بهم الغيظ والحقد ، وهم فى شرخ الشباب ، وطيش الحداثة ، فأضمروا له الشر ، وسعوا فى التفريق بينه وبين أبيه ، فقالوا : إن يوسف وأخاه من أمه (بنيامين) أحب الى أبينا منا ونحن جماعة أقوياء أشداء نافعون له وأحق بمحبته وأجدر بكلفه ، إن أبانا اذاً لفى خطإٍ عظيم فى

إيثاره يوسف وأخاه علينا بالمحبة

﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

وأجمعوا أمرهم على قتله، وقال بعضهم لبعض : اقتلوا يوسف أو ألقوه فى أرض من الأراضى يخل لكم وجه أبيكم عن شغله بيوسف ، فانه قد شغله وصرف وجهه عنا اليه ؛ وتكونوا من بعده قوماً صالحين بتوبتكم من قتله

﴿ اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ﴾

قال قائل منهم وهو « يهودا » وبعضهم قال (أرويل) وكان أكبر القوم وأفضلهم وأرجحهم عقلا ، لاتقتلوا يوسف ، فان القتل ذنب عظيم ، بل ألقوه فى قعر بئر يلتقطه بعض المارّة إن كنتم ولابد فاعلين

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَاتَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾

وأخذ عليهم العهود أنهم لايقتلونه ، فأجمعوا عند ذلك على أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى إرسال يوسف معهم الى البرية ،

وأقبلوا عليه ووقفوا بين يديه . فلما رآهم قال لهم : ماحاجتكم ؟

قالوا: ياأبانا مالك لاتأمننا على يوسف؟ والحال أننا عليه مشفقون وله ناصحون ، أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وإنا له لحافظون نحفظه حتى نرده اليك سالماً

﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا مَالَكَ لَاتَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

وكان يعقوب قد أحسّ بالشر الذى يضمره بنوه لأخيهم يوسف ، ولم يرد أن يظهر لهم تخوفه من جانبهم فقال لهم : انه ليكدرنى أن تذهبوا بيوسف لأنى لاأطيق وقع فراقه على نفسى ، وأخاف أن يختطفه الذئب منكم فيأكله وأنتم عنه لاهون « والله يعلم أنه يتخوف عدوانهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب »

﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِى أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾

فأجابوه قائلين : لئن أكله الذئب ونحن جماعة كثيرون نكون اذاً عاجزين هالكين

﴿ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾

تنفيذ مؤامرتهم بالقاء يوسف فى الجب لهلاكه

فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأرسله معهم ، فلما ذهبوا به الى البرية ، أجمعوا رأيهم وعزموا على القائه فى غيابة الجب ، وأظهروا له العداوة ، وجعل بعض إخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، ولم يجد منهم أخا رحيما ، وجعلوا يضربونه ، حتى كادوا يفتكون به ؛ فأخذ يصيح ويقول : يأبتاه (يايعقوب) لو تعلم ماصنع بابنك بنو الإماء ، فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا : أليس قد أعطيتمونى موثقا ألّا تقتلوه ، فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه ، فأوثقوه كتافا ، ونزعوا قميصه ، وألقوه فيه

فقال لهم : يأخوتاه ردوا علىّ قميصى أتوارى به فى الجب . فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك . قال : إنى لم أر شيئًا فأدلوه فى الجب حتى اذا بلغ نصفها ألقوه حتى يموت ، وكان فى البئر ماء فسقط فيه ؛ ثم آوى الى صخرة فيها فقام عليها ، ثم نادوه فظن أنهم رحموه فأجابهم ، فأرادوا أن يرجموه بالحجارة ، فمنعهم يهودا ، ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون بالوحى

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَايَشْعُرُونَ ﴾

تلطيخ قميصه بدم كذب لاخفاء الجريمة

ثم عمدوا الى سخلة (جدى) من الغنم فذبحوها ، ولطخوا قميص يوسف بدمها ، ورجعوا إلى أبيهم يعقوب فى العشاء وكان ينتظر مجيئهم لتعلق قلبه بيوسف

فلما دنوا منه صرخوا صراخ رجل واحد ، ورفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل ، فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة

فلما أقبلوا عليه اجتمعوا وتقدموا بين يديه ، وأكثروا من البكاء ، ففزع يعقوب وقال لهم : مالكم يابنى وأين يوسف ؟

قالوا : يأبانا إنا ذهبنا للسباق والنضال، والرمى بالسهام، وتركنا يوسف عند متاعنا، فأكله الذئب ، وأنت لست بمصدقنا ولو كنا صادقين

﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾

فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته وقال : أين القميص؟فجاءوه بالقميص عليه دم كذب ، فأخذ القميص وطرحه على وجهه ، ثم أخذ يبكى حتى تخضب وجهه من دم القميص ، ولما لم يجد بالقميص تمزيقاً ولا قطعاً قال لهم متهكما : ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ولم يمزق

قميصه، ولم يعمل فى قميصه نابا ولا ظفرا، ثم قال لهم: لقد سوّلت لكم أنفسكم ارتكاب ذنب عظيم ، فصبر جميل، وربى المعين على احتمال ماتقولون

﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَاتَصِفُونَ ﴾

انقاذ يوسف من الجُب

وأقام يوسف فى الجبّ ثلاثة أيام وكان قليل الماء ، وجاءت سيّارة (قافلة) فبعثوا من يستقى لهم ، فأدلى دلوه فى البئر الذى به يوسف فتعلق به ، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء فاذا بها غلام وسيم ، فاستبشر الرجل وقال : يابشرى هذا غلام !

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾

واتفق وارد القوم الذى أدلى بدلوه ومن معه من أصحابه من رفقته بالقافلة ، على أن لايقولوا انهم اشتروه من سادته أصحاب الماء خيفة أن يطلبوا منهم الاشتراك معهم فيه ، فقال : إن أهل الماء استبضعونا هذا الغلام. والله عليم بما يعمله باعة يوسف ومشتروه فى أمره

﴿ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

بيع يوسف لعزيز مصر

ثم جاء يهودا بطعام ليوسف حسب عادته فلم يره فى الجب فنظر فرآه عند مالك فى المنزل فأخبر إخوته بذلك ، فأتوا مالكا وقالوا له : هذا عبد هارب (آبق) منا فاشتروه منهم بثمن بخس ، وكانوا فيه من الزاهدين

ثم ذهبوا به الى مصر وعرضوه للبيع فاشتراه (قطفير عزيز مصر) وكان وزيرا على خزائن مصر ، وكان الملك على مصر يومئذ (الريان بن الوليد) رجل من العماليق ، ثم مضى به العزيز وقال لامرأته (راعيل أو زليخا) : أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا اذا فهم الأمور ، أو نتخذه ولداً لأنه لم يكن له ولد، وليس عنده ميل للنساء

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً ﴾

ولما رأى فى يوسف الذكاء والأمانة والعلم جعله صاحب أمره ونهيه ، والرئيس على خدمه ، والمتصرف فى بيته بحيث لم يكن لأحد

ممن فى الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته، وهذا إكرام من الله له،وحسن جزائه اليه

ولما أنقذ الله يوسف من أيدى إخوته (وقد هموا بقتله بالقائه فى الجب) وأخرجه من الجب صيره الى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، ومكن له فى الأرض وجعله على خزائنها ، وتولاه بالهداية والتربية والتوفيق، وعلمه من لدنه علماً عظيماً ، وهو تعبير الرؤيا والله غالب على أمره ، فعال لما يريد ؛ ولكن أكثر الناس الذين زهدوا فى يوسف وباعوه بثمن بخس ، والذين صار معهم من أهل مصر لايعلمون ما الله صانع بيوسف

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَعْلَمُونَ ﴾

ولما بلغ يوسف منتهى شدته وقوته فى شبابه ، آتاه الله حكماً وعلماً ، وجزاه أحسن الجزاء ، وكذلك يجزى الله المحسنين من عباده القائمين بأمره المهتدين لطاعته

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾

محنة يوسف بحب امرأة العزيز له

وما حصل له معها

كانت منة الله تعــالى على يوسف بالحسن والجمال الرائع سببا فى محنته. من حيث ان امرأة العزيز لمــا نظرت اليه ورأت حسنه وجماله شغفها حبه وعشقته ، فأخذت تداعبه، وهو يعرض عنها لشدة إيمانه بالله ، ومخافة عصيانه ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ولطهارة أخلاقه، تلك الطهارة التى ورثها عن أبيه وجده وجد أبيه ، ولأمانته وعدم قبوله خيانة سيده الذى ائتمنه على ماله وعرضه ، ومكّن له فى بيته ، وجعله المتصرف فى أمواله وخدمه ، ووثوقه به ثقة عظيمة

كل ذلك كان كافيًا لحفظ سيده فى أهله ، والابتعاد عن تدنيس شرفه وكرامته، وإعراضه عن امرأته التى هاج بها الغرام ، فراودته عن نفسها،وأخذت عدتها وغلقت الأبواب وقالت ليوسف: هيت لك (فهلم بنا) فأبى عليها ذلك وقال لها : معاذ الله ، أعتصم بالله ، وأستجير بالله من هذا الفعل ، ان سيدى (أى بعلها) أحسن منزلتى وأكرمنى وائتمننى فلا أخونه فى أهله ، والله، ان الذى تدعيننى اليه لظلم فاحش ولا يفلح الظالمون

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَايُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

ولما همَّت بيوسف إمرأة العزيز ودعته إلى نفسها أراد أن يهمَّ بها إجابة لنداء الطبيعة البشرية القاهرة لولا أنه نظر بعين البصيرة فرأى البرهان الساطع والدليل القاطع ، وهو عصمة الأنبياء من ارتكاب الفحشاء ، فاستعصم وحرص كل الحرص على طاعة ربه وتمسك بآداب آبائه وأخلاقهم الطاهرة الزكية ، ولذا صرف الله عنه السوء والفحشاء وجعله من عباده الصالحين المخلصين فى عبادته وطاعته .

وقد اعترفت إمرأة العزيز نفسها بأنها هى التى راودته عن نفسه فاستعصم كما سيجئ ذكره ، وذلك قول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾

وقام يوسف موليًا وجهه شطر الباب هاربًا مما أرادته فاتبعته وأدركته وتعلقت بقميصه من خلفه ، فجذبته اليها مانعةله من الخروج ، فخرقت قميصه وشقته من خلفه ؛ لأن يوسف كان الهارب ، والمرأة كانت الجاذبة الطالبة ، واستبقا الباب فوجدا سيدها العزيز وابن عمهامعه قائمين على باب البيت ، فلما رأته هابته وقالت له : ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن

أو يعـذب عذابًا أليمـًا ، ولطخته مكانها بالسيئة خوفًا من أن يتهمها صاحبها بالفجور

﴿ وَاُسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَاجَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

تبرئة يوسف مما اتهمته به امرأة العزيز

فلما سمع يوسف عليه السلام ذلك اضطر إلى تبرئة نفسه الطاهرة الزكية فقال : هى راودتنى عن نفسى فهربت منها ، فأدركتنى فقدّت قميصى من خلف

فقال ابن عمها: تبيان هذا فى القميص، فان كان قدّ من أمام فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قدّ من خلف فكذبت وهو من الصادقين، فأتى بالقميص فوجده قدَّ من دبر (خلف) فقال : إن هذا الفعل من كيدكن إن كيدكن عظيم

« وقيل ان الشاهد كان صبيا فى المهد »

فقال زوجها ليوسف : يوسف أعرض عن هذا، أى لا تذكر ما كان منها لأحد

ثم قال لزوجته : استغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين المذنبين

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّمِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّمِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّمِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ . يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا،وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

وذنبها طلبها الفحشاء من يوسف، وافتراؤها عليه بأنه هو الذى راودها عن نفسه وأراد بها السوء والفحشاء

شيوع الخبر فى المدينة وتحدث النساء به

ثم شاع أمر يوسف و إمرأة العزيز بين الناس فى أرجاء المدينة ، وأكثر بعض النساء الأشراف من التحدث بهذه الحادثة، و وجهن سهام الطعن والملام ضدها قائلات : إنها فى ضلال عظيم

فلما بلغ إمرأة العزيز اغتيابهن لها أخذت فى الكيد لهن ليعذرنها فيه ولا يعذلنها ، فأرسلت إليهن ، وهيأت لهن مكانا أنيقا ، فيه من النمارق والوسائد مايتكئن عليه ، وقدمت إليهن طعاما مما يحتاج قطعه إلى السكين وأعطت كل واحدة منهن سكينا ، و بينما هن يقطعن ماهيأته لهن أمرت يوسف أن يخرج عليهن

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتُ اُخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾

فلما خرج يوسف عليهن ورأينه بهرهن جماله، وشغلهن حسنه عن قطع الفاكهة التى كانت بأيديهن،فصرن يقطعن أيديهن وهن لايشعرن بألم الجرح،وأعلنّا كبارهن و إعظامهن لذلك الجمال الرائع وقلن : ليس هذا بشراً ؛ ولكنه ملك كريم

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَاهٰذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

عند ذلك باحت إمرأة العزيز بحبها وشغفها بيوسف وقالت لتلك النسوة :

هذا هو الذى لمتننى فى حبى إياه وشغف فؤادى به،وقلتن قدشغف إمرأة العزيز فتاها حبًا ونسبتن إلى الضلال

ثم اعترفت وأقرت لهن بأنها هى التى راودته عن نفسه ، وأن الذى تحدثن به عنها فى أمره حق، وقالت : لقد راودته عن نفسه فاستعصم

وامتنع، فإن لم يطاوعني ويجبني إلى ما أدعوه إليه من قضاء شهوتي ليحبسنّ في السجن ويكون ذليلاً صغيراً

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾

ولما توعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعته إليه اختار السجن على معصية الله وقال : ربِّ السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه ؛ ثم دعا ربه وقال : إن لم تدفع عني يارب فعلهن الذي يفعلن بي وهو طلب مراودتهن إياي على أنفسهن أخاف أن أميل إليهن وأتابعهن في إغوائهن لي وأكون حينئذ من الجاهلين، أي جاهلا إذا ارتكبت معصيتك

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

فاستجاب له ربه وصرف عنه كيدهن، ونجاه من ارتكاب المعصية معهن، وكان الله سميعاً لدعائه، عليما بمطلبه وحاجته، وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

ولما يئست إمرأة العزيز من موافقة يوسف شكت لزوجها وقالت له : إن هذا الفتى قد فضحني في الناس

فرغما مما رآه العـزيز من الآيات الدالة على اجرام إمرأته وهى القميص، وشهادة الشاهد من أهلها، وتقطيع النسوة أيديهن، واعترافها بأنها هى التى راودته عن نفسه أمامهنَّ ، بداله ولمشيريه أنه لايخلصهم من العار الذى لحقه ولحق زوجته ويكف ألسنة الناس عنه وعنها إلا زج يوسف فى السجن ليعتقد الناس أنه ماحبس إلا لأنه آثم كاذب فى إدعاء البراءة، وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به، وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَارَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾

ماحصل من يوسف فى السجن ودعوته لدين الله

أُدخل يوسف السجن بدون جريمة ارتكبها، ودخل معه السجن فتيان: أحدهما صاحب شراب الملك، والثانى صاحب طعامه وخبزه (قيل إن الملك غضب على خبازه لأنه بلغه أنه يريد أن يسمه فحبسه، وحبس صاحب شرابه ظنا منه أنه مالأه على ذلك فحبسهما مع يوسف) فسألاه عن صنعته وعمله فقال لهما : أنا أفسر الأحلام وأعبر الرؤيا

فقال أحد الغلامين لصاحبه : هلم نجرب هذا العبد العبرانى ، فأتاه صاحب شراب الملك وأخبره أنه رأى فى منامه أنه يعصر فى كأس الملك خمراً ، وجاء الخباز وقال له : إنى رأيت فوق رأسى طبقاً من الخبز والطير تأكل منه، وطلبا إليه أن ينبئ كل واحد منهما بتأويل مارأى فى منامه، وقالا له : إنا نراك من المحسنين لنا إن عبرت لنا عن رؤيانا

﴿ ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّى أَرَانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّى أَرَانِى أَحْمِلُ فوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

فاغتنم يوسف الفرصة وأخذ ينوه بشأن نفسه أمامهما حتى يجذب نفوسهما نحوه ، ليمكن دعوته إياهما إلى الإيمان فى نفوسهما وذلك هو أعظم مايبتغيه وأخذ يقول لهما : لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما . فقالا له : هذا فعل الكهنة والسحرة . فقال لهما : ما أنا بكاهن ولا بساحر ، ولكن ذلك مما علمنى ربى بتركى ملة الأقوام الكفار الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتباعى ملة آبائى ابراهيم واسحٰق ويعقوب فكلنا نعبد الله وحده لا نشرك به أحداً ، فليس لأحد أن يشرك بالله شيئاً، وذلك كله من فضل الله علينا وعلى الناس اذ أرسلنا اليهم دعاة الى توحيده وطاعته، ولكن أكثر الناس لايشكرون فضل الله عليهم بما أنعم به عليهم من عبادته

﴿ قَالَ لَايَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَايُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَىْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَايَشْكُرُونَ ﴾

ثم أن يوسف عليه السلام سأل صاحبيه (الغلامين) قائلا لهما : أعبادة أرباب شتى متفرقين ، وآلهة لاتنفع ولا تضر خير ، أم عبادة المعبود الواحد القهار ، الذى لا ثانى له فى قدرته، وسلطانه الذى قهر كل شئ فذله وسخره فأطاعه طوعًا ؟

قيل: ان يوسف عليه السلام قال لهما هذا القول ، لأنه كان يعلم أن أحدهما مشرك فدعاه بهذا القول إلى الاسلام ، وترك عبادة الآلهة والأوثان ؛ وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟ ﴾

ثم قال لهما : انكم لاتعبدون من دون الله فى الواقع إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من دليل ولا حجة ، ولكنها اختلاق وافتراء منكم ومنهم ، واعلموا بأن الحكم لله الواحد القهار ، الذى أمر أن لاتعبدوا أنتم وجميع خلقه إلَّا إياه ، وذلك هو الدين القيم الذى دعوتكما اليه ، لا اعوجاج فيه ، والحق الذى لاشك فيه ، ولكن أكثر أهل الشرك بالله يجهلون ذلك ، فلا يعلمون حقيقته

﴿ مَا تعبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ أَمَرَ أَلَّا تعبُدُوا إِلَّا

إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وبعد أن فرغ وانتهى من دعوتهما الى دين الله ابتدأ أن يفسر لهما رؤياهما لما ألحا عليه فقال : أما أحدكما فيسقى ربه أى سيده خمراً ؛ وهو الذى رأى أنه يعصر الخمر أى يعود الى منزلته التى كان عليها عند الملك، وأراد به الساقى صاحب الشراب

وأما الآخر ، وهو الذى رأى أن على رأسه خبزاً تأكل الطير منه، فيصلب وتأكل الطير من رأسه ، وأراد به صاحب الطعام

فلما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا : ما رأينا شيئا انما كنا نلعب ونهزل ، ونجرب علمك ، فقال لهما : قضى الأمر الذى عنه تسألان . وذلك قوله تعالى :

﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

ثم أن يوسف عليه السلام رأى أن يجد الفرج من السجن والخلاص مما هو فيه من الضيق على يد الذى ظن أنه ناج منهما وهو الساقى فقال له : اذكرنى عند سيدك وأخبره بمظلمتى وانى محبوس بغير جرم، ولكن الشيطان أنسى الساقى ذكر ذلك فأوحى الله الى يوسف : أاتخذت من دونى وكيلا ؟ لأطيلن حبسك

فلبث يوسف فى السجن بضع سنين، والمشهور أنه لبث بعد ذلك سبع سنين وتحقق تأويل المنام

وجاء عن الحسن قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : رحم الله يوسف، لولا كلمته مالبث فى السجن طول مالبث (يعنى قوله : اذكرنى عند ربك) ولكن إنما عوقب باستشفاعه علي ربه، وذلك قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اُذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾

الفرج ليوسف

لما قرب الفرج من يوسف عليه السلام رأى ملك مصر – وهو الريان ابن الوليد – رؤيا عجيبة هالته وفزع لها

وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان ، وسبع بقرات عجاف ، قبيحة المنظر، خرجت من النهر فأكلت البقرات الأولى السمينة ؛ ثم استيقظ من منامه ؛ ثم عاد الى رقاده فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحد، وخلفها سبع سنابل يابسات قد عدت على السنابل الخضر فأكلتها

فلما أصبح الصباح جمع السحرة والكهنة وكل من له علم بتعبير

الرؤيا وتفسير الأحلام وسألهم عن تأويل هذا المنام فلم يجد عند أحد منهم جواباً وقالوا له : هذه أخلاط أحلام كاذبة لا حقيقة لها ، وما نحن بتأويل تلك الأحلام الكاذبة بعالمين ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ . قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾

فتذكر الساقى الذى نجا من القتل من الفتيين اللذين كانا مع يوسف فى السجن ما كان نسى من أمر يوسف، وذكر حاجته للملك التى كان قالها له عند تعبير رؤياه وهى : اذكرنى عند ربك بعد حين، وقال: أنا أنبئكم بتأويله، فأرسله الملك الى يوسف فى السجن ليقص عليه رؤياه

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾

فلما التقى الساقى بيوسف قال له يوسف أيها الصديق : أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر لعلى أظفر منك بجواب، فرجع إلى القوم فأخبرهم بتفسير هذه الرؤيا ليعلموها

﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

فأجابه يوسف بتأويل هذا قائلا : إن مصر يأتى عليها سبع سنين مخصبات يكثر فيها الخصب والرخاء فتجود الأرض فيها بالغلات الوافرة؛ ثم يأتى من بعدها سبع سنين مجدبة يحصل فيها الجدب والقحط وفرط الغلاء فتأتى على المخزون من السنين السبع التى تقدمتها ؛ ثم بعد ذلك تأتى أعوام الخصب والرغد ؛ وان على أهل مصر أن يقتصدوا فى سنى الخصب ويخزنوا مافضل من القوت فى سنابله حتى إذا حلّ الجدب والقحط وجدوا فى مخازنهم مايسد الرمق ويمسك عنهم الضيق حتى يأتى الله بالخصب والغيث

فوصف البقرات السمان بسنىّ الخصب، والبقرات العجاف بسنىّ الجدب والمحل، وكذلك السنبلات الخضر والسنبلات اليابسات

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَاقَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

فلما عاد الساقى إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف عليه السلام من تأويل رؤياه، ووقع فى قلب الملك أن الذى قاله يوسف مناسب ومتفق مع الرؤيا أمر بإحضار يوسف وقال : ائتونى بالذى عبر هذه الرؤيا لأجعله من المقربين إلىّ

فلما جاء الرسول إلى يوسف عليه السلام أبى أن يخرج معه حتى يعرف حقيقة أمره بما كانوا قذفوه به من شأن إمرأة العزيز، وأراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة، مرفوع الرأس، أبيض الصحيفة، فقال للرسول : ارجع إلى سيدك فاسأله عن النسوة اللاتى قطعن أيديهن فإن الله عليم بكيدهن .

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾

فرجع الرسول إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف ، فدعا الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وإمرأة العزيز وقال لهن : ماخطبكن ؟ أى ما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ؟ فأجبنه وقلن : حاشَ لله ماعلمنا عليه من سوء ، وأنكرن أن يكن سمعن شيئًا يشينه وشهدن ببراءته

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾

ولما رأت إمرأة العزيز أن يوسف الذى زجت به فى السجن ظلماً وعدواناً قد أكرمه الله تعالى لعصمته وطهارته حتى صار من اهتمام الملك به أن يستدعيه ليستخلصه لنفسه ، أقرت واعترفت بما اقترفته و باحت بما كتمته عن زوجها، فقالت : الآن حصحص الحق وظهر وانكشف، وأنا التى راودته عن نفسه فاستعصم و إنه صادق فى دعواه

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

فلما سمع يوسف هـذا الاعتراف منها قال : ليعلم الملك أننى لم أخن سيدى فى زوجته بالغيب (أى لم أرتكب فعل الفاحشة فى حال غيبته عنى) وأن الله لايسدد كيد الخائنين و إنى مافعلت ذلك تزكية لنفسى وعجباً بها، فإن النفس لأمارة بالسوء، إلا النفوس التى يرحمها الله فيعصمها من ارتكاب المعصية

﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَارَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

يوسف بحضرة الملك

لما تبين للملك طهارة يوسف عليه السلام ، وعرف أمانته و براءته وكفايته وعلمه وعقله قال : ائتونى به أستخلصه لنفسى (أى أجعله من خلصائى دون غيره) وحينئذ رأى يوسف أن ليس هناك علة فى الامتناع عن الخروج، فخرج مرفوع الرأس، طاهر الذيل،وجاء إلى الملك وكلمه فسر الملك من كلامه،وأعجبه عقله وحسن تعبيره للرؤيا، وقال له : إنك لدينا ذو مكانة ومؤتمن على كل شئ

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾

ثم سأله عن أى عمل يرضاه لنفسه و يكون فيه سروره فقال يوسف : اجعلنى على خزائن الأرض ، فإنى حفيظ وأمين على مايخرج منها من الغلات والخيرات عليم بوجوه تصريفها

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾

ومن فضل الله على يوسف و رحمته أنه مكن له فى الأرض مكاناً علياً وهى أرض مصر يتخذ منها منزلا حيث يشاء بعد الحبس والضيق ، كما أن الله يصيب برحمته من يشاء من خلقه ولا يضيع أجر من أحسن عملا، فأطاع ربه وعمل بما أمره وانتهى عما نهاه عنه، وأن ثواب الله فى الآخرة

خير للذين صدقوا الله ورسوله مما أعطى الله يوسف فى الدنيا من تمكينه له فى أرض مصر وكانوا يتقون الله ويخافون عقابه

﴿ وَكَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

زواج يوسف عليه السلام بامرأة العزيز

جاء فى كتاب تاريخ الكامل لابن الأثير : أن الرَّيان ملك مصر زوَّج يوسف (راعيل أو زليخا) إمرأة سيده العزيز (التى كانت مشغوفة بحبه) فلما دخل بها قال لها : أليس هذا خير مما كنت تريدين ؟

فقالت : أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء جميلة فى ملك ودنيا ، وكان صاحبى لايميل الى النساء ، وكنت كلما أنظر فى صورتك وحسن هيئتك ، غلبتنى نفسى . فلما بنى بها يوسف وجدها بكراً عذراء ورزق منها بولدين : افرايم ومنسا ؛ وقد باركهما جدهما عليه السلام ودعا لهما ، وجعلهما صاحبى نصيبين كأولاده الصلبيين فى الأرض المقدسة التى يملكها بنو اسرائيل وهى أرض فلسطين

(إخوة يوسف يتّجرون يمتارون)

لما أُطمأن يوسف عليه السلام فى ملكه وخرج من البلاء الذى كان فيه ، وخلت السنون المخصبة التى كان أمرهم بالاُقتصاد فيها للسنين المجدبة التى أخبرهم بها أنها حاصلة ، جهَد الناس فى كل وجه وخرجوا الى أرض مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلد . وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد ساوى بينهم ، وكان لايحمل للرجل إلَّا بعيراً واحداً ، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين تقسيطا بين الناس وتوسيعًا عليهم ، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف عليه السلام ما أراد ،فلما نظر اليهم قال :أَخبرونى ماأمركم فانى أنكر شأنكم ؟ قالوا : نحن قوم من أرض الشام .قال: فما الذى جاء بكم الى هنا ؟ قالوا : جئنا نمتار طعاما . قال : كذبتم أنتم جواسيس (عيون) كم أنتم ؟ قالوا : عشرة . قال : أنتم عشرة آلاف كل رجل منكم أمير ألف فأخبرونى خبركم

قالوا : إنا إخوة بنو رجل صديق ، وإنا كنا اثنى عشر ، وكان أبونا يحب أخًا لنا ، وأنه ذهب معنا الى البرية فهلك منا فيها ، وكان أخانا الى أبينا

قال : فالى مَن سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : الى أخ لنا أصغر منه .
قال : فكيف تخبرونني أن أباكم صديق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير ، ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربوا بلادي . قالوا : سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون .
قال لهم : فضعوا أحدكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا (شمعون) .
ولما حمل يوسف لإخوته جمالهم من الطعام أوفر لكل رجل منهم بعيره وقال لهم : ائتوني بأخ لكم من أبيكم لأحمل لكم بعيرا آخر ، ألا ترون أني أوفي الكيل لكم ولا أبخسه
وأنا خير من أنزل ضيفا على نفسه

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾

وقال لغلمانه : اجعلوا بضاعتهم التي دفعوها ثمنًا للطعام في أوعيتهم فانهم يعودون بها الينا لأنهم لايقبلون ماليس لهم

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

إخوة يوسف عند أبيهم وطلبهم أخاهم بنيامين

فلما رجع إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم بجمالهم قالوا له : يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا إكراماً زائداً و إنه ارتهن (شمعون) وقال ائتونى بأخيكم الصغير الذى عطف عليه أبوكم بعد أخيكم الذى هلك فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربوا بلادى فأرسل معنا أخانا (بنيامين) يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا و إنا لحافظون له من أن يناله مكروه فى سفره

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

فقال لهم أبوهم يعقوب : هل آمنكم على أخيكم من أبيكم الذى تسألوننى أن أرسله معكم إلّا كما آمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟ فالله أرحم راحم بخلقه ، يرحم ضعفى على كبر سني و وحدتى بفقد ولدى فلا يضيعه و يحفظه حتى يرده علىّ لرحمته بى فهو خير الحافظين

﴿ قالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

ولمّا فتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم (أى فضتهم) التى كانوا دفعوها ليوسف فى مقابل ماأخذوه من الطعام كما هى لم تمس، فقالوا لأبيهم: يأبانا ما نبغى؟ (أى ماذا نريد بعد هذا) هذه بضاعتنا ردت إلينا فاذا سمحت بأخينا (بنيامين) ليذهب معنا فإننا نمير (أى نشترى طعاماً لأهلنا) ونحفظ أخانا ونزداد على أحمالنا من الطعام حِمْل بعير ليُكال لنا، وهذا شئ يسير عند الملك الذى طلب أخانا

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾

فقال يعقوب لبنيه: لن أرسل أخاكم معكم إلى ملك مصر حتى تعطونى ميثاقاً وعهداً من الله بأنكم تأتوننى بأخيكم إذا لم يصبكم أمر يذهب بكم جميعاً فيكون ذلك عذراً لكم عندى

فلما أعطوه عهدهم على الوفاء بما اشترطه عليهم قال يعقوب: إن الله على مانقول (أنا وأنتم) وكيل أى شهيد علينا بالوفاء

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ

إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَانَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

فلما أرادوا الخروج من عند أبيهم إلى مصر ليمتاروا الطعام أوصاهم – بعد أن أذن لأخيهم فى الرحيل معهم – وقال لهم : يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ، وكانوا ذوى جمال وأبّهة فخاف عليهم الحسد من أعين الناس لهيبتهم ، ولأنهم أبناء رجل واحد ثم قال لهم : لا أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذى قد يكون قدّره عليكم من شئ صغير ولا كبير لأن القضاء والحكم لله دون سواه فلا رادّ لقضائه، ولادافع لقدره، فعليه توكلت ووثقت به فى حفظكم حتى يردكم إلىّ سالمين، وعليه فليتوكّل المتوكّلون

﴿ قَالَ يَابَنِيَّ لَاتَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾

رجوعهم إلى مصر ومعهم بنيامين ودخولهم على يوسف

فدخلوا مصر كما أمرهم أبوهم من أبواب متفرقة، وما كان ذلك ليمنع عنهم قضاء الله فيهم،إنما هى حاجة فى نفس يعقوب قضاها، أى أنهم قضوا وطراً ليعقوب وإنه لذو علم مما علمه الله ، ولكن أكثر الناس لايعلمون

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه (أى ضم إليه أخاه لأبيه وأمه) لأنه عرفه وأنزلهم منزلا رحبا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأكرم ضيافتهم وقال لأخيه : أنا أخوك فلا تحزن على ما كانوا يعملونه فيما مضى، فإن الله قد أحسن إلينا، ولا تعلمهم شيئاً مما قلته لك

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

حيلة يوسف فى إبقاء أخيه بنيامين عنده

ولما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم جعل السقاية (الإناء الذى يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام) فى رحل أخيه أى فى متاع أخيه وهو لا يشعر، فلما ارتحلوا مسافة قصيرة نادى مناد قائلا : أيتها العير أى (القافلة التى فيها الأحمال) إنكم لسارقون قفوا، وانتهى إليهم رسول يوسف ووكيله وأخذ يوبخهم ويقول لهم : ألم نكرم ضيافتكم ونوفكم كيلكم ونحسن منزلتكم ونفعل بكم مالم نفعل

بعيركم وأدخلناكم علينا فى بيوتنا وأنتم تسرقون ؟

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾

قال إخوة يوسف ماالذى تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك (الإناء الذى يشرب فيه) فمن جاء به له حمل بعير من الطعام وأنا الكفيل بالوفاء إليه

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾

فقال إخوة يوسف : والله ماجئنا لنفسد فى الأرض، ومانحن بسارقين

﴿ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَاجِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾

وقال أصحاب يوسف لإخوته : ماجزاء من توجد فى متاعه سقاية الملك إن كنتم كاذبين ؟

قالوا : جزاء من توجد فى رحله سقاية الملك أن يؤخذ عبداً له فكذلك جزاء الظالمين

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾

ففتش الرسول أوعيتهم ورحالهم قبل وعاء أخيه (بنيامين) مبتدئاً بالكبير ومنتهيا بالصغير فوجد السقاية فى وعاء أخيه فاُستخرجها منه فأخذ برقبته واُنصرف به الى يوسف

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اُسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾

ويقول الله تعالى ذكره : كذلك علمنا يوسف هذا التدبير الذى به حصل على أخيه وما كان ليستطيع أن يأخذه على مقتضى شريعة ملك مصر ؛ لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقّ أحداً بالسرقة فلم يكن ليوسف أخذ أخيه إلا أن يشاء الله بكيده الذى كاده له حتى طابت أنفس إخوته بحكمهم عليه بالتسليم

وقد رفع الله درجة يوسف فوق درجة إخوته ، وفوق كل عالم من هو أعلم منه ، ويعنى بذلك أن يوسف أعلم إخوته ، و إن فوق يوسف من هو أعلم منه ، حتى ينتهى ذلك إلى الله تعالى :

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

فقالوا — وقد ملئوا غيظاً على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة تأنيبا له : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾

ويقصدون بذلك السرقة التى نسبوها ليوسف وهى : أنه رأى صنما فى بيت بعض أقارب به من جهة أمه فأخذه وكسره وأتلفه واُعتبروا ذلك سرقة جهلا بحقيقتها

فأخفى يوسف هذه التهمة فى نفسه ولم يجاهرهم بها، وقال فى نفسه أيضا : أنتم شر منزلة إذ سرقتمونى من أبى، والله أعلم بمبلغ صدقكم فيما تقولون

﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

ولما أراد يوسف عليه السلام أن يحبس أخاه (بنيامين) عنده ورأوا ألّا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يطلقه ويعطوه واحداً منهم مكانه بدلا منه وقالوا ليوسف : يأيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا متعلقا به كلفًا بحبه فخذ أحداً منا بدلاً من بنيامين وأخل سبيله إنا نراك من المحسنين لنا إن فعلت ذلك

﴿ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

فقال يوسف لإخوته : معاذ الله أن نأخذ إلّا من وجدنا متاعنا عنده

فإذا أخذنا غيره نكون إذاً من الظالمين .

وقال لهم : إذا أتيتم أباكم فأقرئوه السلام وقولوا له : إن ملك مصر يدعو لك أن تعيش حتى ترى ابنك يوسف

﴿ قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ ﴾

فلما يئس إخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المبادلة وأن يجيبهم إلى ماسألوه خلا بعضهم ببعض يتفاوضون ويتشاورون ثم قالوا : ماذا ترون ؟ قال كبيرهم فى العقل والعلم لا فى السن وهو (روبيل) إن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله لتأتنّه به جميعاً إلا أن يحاط بكم ومن قبل فعلتم هذه الفعلة بتفريطكم فى يوسف ؛ فلن أبرح الأرض التى أنا بها (وهى مصر) ولا أفارقها حتى يأذن لى أبى أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ، أى خير من حكم وعدل بين الناس

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَافَرَّطْتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِى أَبِى أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

ثم أشار عليهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بما كان من سرقة أخيهم بنيامين لصواع الملك وأنهم ما شهدوا عليه بالسرقة إلَّا بما علموا عن مشاهدة إذ وجدوا الصواع فى أمتعته ولم يكن لهم علم بما هو كائن لهم فى الغيب

﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾

وقولوا له : إن كنت متهما لنا لاتصدقنا على ماتقول من أن ابنك سرق فاسأل القرية التى كنا فيها وهى مصر، والقافلة التى أقبلنا فيها عن خبر ابنك وحقيقة ماأخبرناك عنه من سرقته، وإنا لصادقون فيما أخبرناك

﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

رجوع إخوة يوسف إلى أبيهم بعد حبس بنيامين

فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم وتخلف (روبيل) فأخبروه خبر بنيامين على حقيقته فلم يدخل عليه هذا القول ولم يصدقهم وقال لهم يعقوب عليه السلام : بل زيّنت لكم أنفسكم أمراً هممتم به وأردتموه فصبرى على مانالنى من فقد ولدى صبر جميل لاجزع فيه ولا شكاية

عسى الله أن يأتينى بأولادى جميعًا (وهم يوسف و بنيامين و روبيل)
فيردهم إلى إنه هو العليم بوحدتى و بفقدهم وحزنى عليهم

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

ثم أعرض يعقوب عنهم وقال : ياحزنًا على يوسف إن الأسف عليه لشديد، وأخذ يبكى بكاء حاراً حتى اُبيضّت عيناه من الحزن وضعف بصره من شدة البكاء والحزن وهو كاظم غيظه لايتكلم

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

فلما رأى ذلك أولاده قالوا له : لاتزال تذكر يوسف، ولا تفتر عن حبه حتى تكون حرضًا (أى تكون مريضًا مشرفًا على الهلاك، ويذيبك الحزن) أو تكون من الهالكين

﴿ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَؤُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾

فلما رأى يعقوب غلظتهم وجفوتهم وسوء لفظهم قال : لست أشكو اليكم همى وحزنى، وإنما أشكو ذلك إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون ثم قال لهم : يابنىّ اذهبوا إلى الموضع الذى جئتم منه وخلفتم إخوتكم

به وتحسّسوا والتمسوا يوسف،وتعرفوا من خبره وأخيه بنيامين،ولا تقنطوا من أن الله يذهب عنا مانحن فيه من الحزن على يوسف والغم على أخيه بفرج من عنده ، فإنه لاييأس من روح الله (أى لايقنط من فرجه ورحمته و يقطع رجاءه منه) إلَّا القوم الكافرون الذين يجحدون قدرته على مايشاء فإنه على مايشاء قدير و إليه المصير

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالَا تعلَمُونَ يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾

تعرف يوسف بإخوته وعطفه عليهم واُعترافهم بذنبهم

جاء إخوة يوسف إلى مصر كما أمرهم أبوهم، وقصدوا يوسف فى مقر ملكه،فلما دخلوا عليه قالوا : يأيها العزيز – رجاء أن يرحمهم فى شأن أخيهم – (مسنا وأهلنا الضر) أى الشدة من الجدب والقحط (وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به إلا أن يتجاوز لهم فيها(فأوف لنا الكيل) أى أعطنا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التى لاترد (وتصدق علينا) أى لاتنقصنا من

سعر طعامك لرداءة بضاعتنا (إن الله يجزى المتصدقين) إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾

فلما سمع يوسف من إخوته هذا الكلام رقّ قلبه لهم وَحَنَّتْ عواطفه عليهم، وباح لهم بما كان يكتمهم من شأنه وقال لهم : هل تذكرون مافعلتم بيوسف وأخيه إذ فرقتم بينهما وصنعتم ماصنعتم وأنتم جاهلون بعاقبة ماتفعلون بيوسف وما إليه صائر أمره وأمركم ؟

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾

فعند ذلك ذهبت سكرتهم، وتيقظوا وعرفوا الحقيقة وقالوا : إنك لأنت يوسف، فقال : نعم أنا يوسف، وهذا أخى قد منّ الله علينا بأن جمع بيننا بعد مافرقتم بيننا

فما أكبر قول يوسف لهؤلاء الإخوة تحدثاً بنعمة الله، وما أعظم نصحه لهم بقوله : إنه من يتّق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أى إن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه وصبر على بلواه

﴿ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِى قَدْ مَنَّ

عَلَيْنَا إِنهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فإِنَّ اللهَ لَايُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

عند ذلك لم يسعهم إلَّا الخضوع والامتثال والاعتراف له بأنه قد انتصر عليهم انتصاراً باهراً وارتفع قدره ولذلك قالوا : تالله لقد فضلك الله علينا بما أعطاك وحباك وآثرك علينا بالعلم والحلم والفضل، وما كنا فى فعلنا الذى فعلناه بك و بأخيك إلَّا خاطئين

﴿ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فقال لهم : لالوم عليكم اليوم عندى فيما صنعتم عفا الله عنكم وغفر لكم ذنوبكم فهو أرحم الراحمين بمن تاب من ذنبه وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته

﴿ قَالَ لَاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

سؤال يوسف عن أبيه وتوقع الفرج بلقائه

ثم سألهم يوسف عن حال أبيه من بعده فقالوا له : قد هزل جسمه وضعف بصره من شدة البكاء والحزن ؛ فأعطاهم قميصه وقال لهم : اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يرتدّ بصيراً وجيئونى بأهلكم جميعاً

﴿ اِذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

فلما خرجت القافلة وانفصلت عن أرض مصر متوجهة إلى (كنعان) وكانت نفس يعقوب مطمئنة ولم يتسرب اليها اليأس، وكان يتوقع الفرج بلقاء ابنه يوسف بعد طول بعاده وحزنه، عليه هبت ريح فذهبت بريح قميص يوسف إلى يعقوب فقال لمن حوله من جماعته : إنى لأشم ريح يوسف، ولولا خوفى من أنكم تكذبوننى وتسفهوننى وتنسبون إلىّ ضعف العقل لأخبرتكم بأنى أتوقع الفرج بلقائه وأنه قريب منا

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾

فقال له أولاده : أيها الرجل تالله إنك من حب يوسف وذكره لفى خطئك القديم، بعيد عن الصواب فى اعتقادك أن يوسف باق الى اليوم

﴿ قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾

البشارة بقرب اجتماع يوسف بأبيه

ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير إلى يعقوب من عند ابنه يوسف وهو المبشر برسالة يوسف وقيل هو (يهوذا) ألقى القميص على وجهه فعاد

مبصرا بعينيه بعد ما كان قدأصيب بضعف البصر فقال لهم عند ذلك:

ألم أقل لكم يابنى إنى أعلم من الله أنه سيرد على يوسف ويجمع بينى وبينه وأنتم لاتعلمون من ذلك ما كنت أعلمه لأن رؤيا يوسف كانت صادقة؟

﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالا تَعْلَمُونَ ﴾

فقالوا له : ياأبانا أُطلب لنا من ربك أن يعفوَ عنا ويغفر لنا ذنوبنا التى أذنبناها فى حقك وحق يوسف فلايعاقبنا بها يوم القيامة إِنَّا كنا فى خطإٍ عظيم فيما فعلناه وقد اعترفنا بذنوبنا

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾

فقال يعقوب لهم : سوف استغفر لكم ربى إنه هو الذى يغفر الذنوب جميعا، ويتوب على من تاب، رحيم بالعباد

﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

لقاء يوسف لأبيه وإخوته وتفسير رؤياه

استعد يعقوب عليه السلام هو وأولاده وجميع آله فسافروا إلى

مصر. فلما جاءوا إليها دخلوا على يوسف فآوى إليه أبويه (أى يعقوب وزوجة خالة يوسف) لأن أمه كانت قد ماتت وهو صغير؛ وقابلهم جميعاً بالاحترام الجزيل وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين مما كنتم فيه من الجدب والقحط

ورفع أبويه على العرش (أى على السرير فى أعلى مكان من مجلسه) فخروا له سجداً (أبوه وأمه وإخوته الأحد عشر) سجود تحية لا سجود عبادة

وكانت تحيتهم بالانحناء حسب عادة قدماء المصريين فى ذلك الزمان وأخذ يحدثهم بتاريخ حياته منذ فارقهم

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾

ثم قال لأبيه: يأبت هذا تأويل رؤياى من قبل (أى ان السجود الذى سجدته أنت وأمى وإخوتى لى تأويل الرؤيا التى كنت رأيتها من قبل) وهى رؤية الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر لى ساجدين، قدحققها ربى بسجودكم جميعاً

(وقيل إن المدة التى كانت بين رؤيا يوسف عليه السلام وبين تأويلها أربعون سنة)

ثم قال : قد أحسن بى ربى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البادية من بعـد ما أفسد الشيطان بينى وبين إخوتى ، وهذا كله من لطف الله بى وبكم ، إن ربى لطيف التدبير لما يشاء ، عليم بوجوه المصالح ، حكيم بفعل كل شئ على أقصى وجوه الأحكام

﴿ وَقَالَ يَأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

شكر يوسف لربه على ما أنعم عليه به

ثم أن يوسف عليه السلام بعد ماجمع الله له أبويه وإخوته ، وبسط عليه من الدنيا مابسط من الكرامة ، ومكنه فى الأرض أخذ يشكر الله تعالى معلنًا نعمته عليه ، ومامنحه من ملك وعلم قائلا : يارب قد آتيتنى من ملك مصر ، وعلمتنى تأويل الرؤيا ، يافاطر السموات والأرض (أى ياخالقها وبارئها) أنت وليى فى دنياى على من عادانى وأرادنى بسوء بنصرك ، وتغذونى فيها بنعمتك ، وترحمنى فى الآخرة بفضلك

ورحمتك ، أقبضنى اليك مسلماً وأنامسلِّم لك أمرى ، وألحقنى بالصالحين من آبائى إبراهيم واسحٰق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

ثم توفاه الله تعالى وكان عمره وقتئذ عشراً ومائة سنة ، وقد أوصى قبل وفاته أن يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببنى إسرائيل الى الشام ودفنه بالقرب من نابلس ، وقيل عند الخليل عليه السلام والله تعالى أعلم

العبرة فى قصة يوسف عليه السلام

إن من يقرأ سورة يوسف عليه السلام وقصته هذه بامعان الفكر، وتحكيم العقل، وثاقب النظر، يرى أنها عبرة العبر، وعظة العظات، لأنها مورد غزير المادة، لمن يريد أن يستنبط الأخلاق الفاضلة الطاهرة، ويشرح الاستقامة، وعفة النفس، والصدق والأمانة، والشفقة والرحمة.

هـذا يوسف عليه السلام قد تغذى بلبان النبوة، وتعهده أبوه بالأخلاق النبوية الكريمة، فنشأ نشأة صالحة، وأحس من صغره بمجد آبائه وأجداده فسار على منهجهم، وتمسك بآدابهم وأخلاقهم، فأنعم الله عليه بالعلم والحكمة والعصمة من الوقوع فى الدنايا والرزايا

لقد برهن عليه السلام على أنه ذو نفس كريمة أبية، وروح طاهرة وعزيمة قوية، وأنه حقيقة من أولى العصمة المؤمنين حقاً

لقد اعتمد على مولاه عند كل ضائقة فنجاه، والتجأ اليه عند كل ملمة فأكرم مثواه، كاد له إخوته فأغرقوه والله أنقذه وأعلاه، كادت له امرأة العزيز وأتهمته بالخيانة؛ ولكن الله أظهر براءته، توعدته بالسجن ووافقها زوجها تستراً على عرضه فسجن؛ ولكن الله نصره ورفع شأنه

وكان عليه السلام فى السجن داعياً إلى الله باذنه ، معلناً أن دينه دين التوحيد ، هو الدين القيم ، وأخذ يحث الناس على عبادته فقام بالرسالة عليه السلام

كان محافظا على شرفه، وكان عنده إباء وشمم، فلم يشأ أن يقال عنه مجرم ، وأبى أن يخرج من السجن إلّا بعد أن يثبت أنه برىء الساحة نقى الصحيفة ، فأرسل الى الملك يبسط ظلامته ويطلب اليه إعادة التحقيق فى جريمته ، فلما أجرى الملك التحقيق على وجهه الحقيق وظهرت براءته ، رضى بالخروج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة

كان يوسف عليه السلام ، متحلياً بفضيلة الصبر وضرب للناس المثل الأعلى فيها ، فصبر على إيذاء إخوته له وتجريدهم إياه من ثوبه ولطمه ولكزه والقائه فى الجبّ بقصد إهلاكه ، صبر على استرقاقه وبيعه بيع الرقيق فى بلاد غير بلاده، وفى قوم يخالفونه لغة وديناً وخلقا، بل صبر على أكثر من ذلك حيث اعتبروه شريراً خائناً إذ باعه ملتقطوه بأبخس الأثمان . شكر على نعمة الله حيث جعله أميناً على خزائن الملك ، فلم يسئ استعمال المال بصرفه على الشهوات ، بل شكر لله ولسيده ؛ وصبر عن شهوة الفرج وقد تهيأت له الأسباب المغرية عليها الدافعة اليها ، فاستعصم وجزع حتى سلم منها متوجاً بتاج العفة والصبر عن الشهوات ، وقاوم نفسه وقهرها لتمسكه بالدين وكرم النفس والوفاء وعدم خيانة الأمانة

كان عليه السلام عفواً حليماً لأنه عفا عن إخوته حينما أظهروا ندمهم واعترفوا بذنبهم وطلب اليهم الغفران من ربه

كان عليه السلام متحلياً بفضيلة الشكر متحدثا بنعم الله تعالى عليه ، فانه لما جاء أبواه رفعهما على العرش وخرّ له أبواه و إخوته سجداً سجود تحية فقال : يأبت هـذا تأويل رؤياى من قبل (وهى رؤيتى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين) وقد جعلها ربى حقًا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البادية ، بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم

كل هذا اعتراف منه بشكر الله على نعمه عليه

والخلاصة أن هذه القصة الجميلة عبرة لأولى الألباب ، وعظة بالغة وهدى ورحمة لكل عبد أواب ، ولقد سماها الله أحسن القصص وقال عقبها: لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب

١٢ – قصة أيوب عليه السلام

أيوب عليه السلام هو نبى من الأنبياء المذكورين فى القرآن الكريم؛ وقد ذكره المؤرخون أنه رجل من ولد عيص بن إسحٰق بن إبراهيم

وجاء فى الحديث عن وهب : أنه كان رجلاً من الروم قد اصطفاه الله ونبأه وابتلاه فى الغنى بكثرة المال والولد ، و بسط عليه من الدنيا فوسع عليه فى الرزق ، وكانت له أراض واسعة فى أرض الشام

وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة ، وقد أعطاه الله أهلا وولداً من رجال و نساء

وكان براً تقياً رحيما بالمساكين ، يطعم المساكين ، ويعين الأرامل ، ويكفل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ، وكان شاكراً لأنعم الله ، مؤديا لحق الله فى الغنى ؛ ولكن مع هذا كله قد ابتلاه الله بفقد ماله ، وهلاك أولاده ، فصبر على ذلك الصبر الجميل ، ولم ينقطع عن عبادة ربه وشكره ، ولذا لقب بالصديق ، وضرب به المثل فى الصبر ، وفوق ذلك قد ابتلاه الله فى جسمه ببلاء عظيم بين الجلد والعظم ، حتى ابتعد عنه الأهل والصديق ، ولم يبق له مال ولا ولد

ولا رفيق ، ولا أحد يقرب منه غير زوجه (رحمة بنت أفرايم أو منس ابن يوسف وقيل اليا بنت يعقوب) فانها صبرت معه بصدق واخلاص وقامت بخدمته ، فكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله معه ، وأيوب لا يفتر عن ذكر الله والحمد والثناء عليه، والصبر على ما ابتلاه ، ولم يزده هذا البلاء إلا رغبة وحباً فى الله لصدق يقينه وإيمانه

وقد لزمه المرض سبع سنين وهو لم يضجر ، ولم يغفل عن ذكر الله فعند ذلك نادى ربه وشكا اليه مانزل به من الضير وسأله الرحمة وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

الأنبياء

فاستجاب الله دعاءه ، وكشف عنه ضره ، وأعاد له ضعف ما كان ذهب من ماله وولده ، وقد جعل الله ذلك اختباراً له وعبرةً لأهل البلاء ، وعزاءً للصابرين ، وتذكرةً للعابدين ، ليعتبروا ويعلموا أن الله قد يبتلى أولياءه ومن أحبَّ من عباده فى الدنيا بضروب من البلاء فى نفسه وماله وأهله من غير هوان به ؛ ولكن اختباراً من الله له ليبلغ بصبره وحسن يقينه وإيمانه منزلته التى أعدها له الله تبارك وتعالى من الكرامة عنده فى الدار الآخرة وذلك قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَابِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ الأنبياء

ولما استغاث أيوب من الشيطان الذى مسه بالبلاء فى جسده وعذبه وأحزنه بذهاب ماله وولده ، نادى ربه فاستجاب له وقال : إركض برجلك (أى حركها وارفعها) فلما ركض برجله نبعت عين ماء فاغتسل منها، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، وشرب منها فكان له فيها تمام الشفاء

ووهبه الله ما فقده من أهله ومثله معه رحمة من الله به ، وعبرة لأولى الألباب ليعتبروا ويتعظوا وذلك قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ ص

وقيل قد حصل خلاف بين أيوب عليه السلام وزوجته فتكلمت بكلام أغضبه وكدره ، فحلف إذا شفى وبرئ من مرضه ليضربها مائة جلدة ، ولما أراد أن يبر بيمينه أمره الله أن يأخذ مائة عود من أصول السنبل ويجمعها حزمة واحدة ويضرب بها زوجته ضربة واحدة فلا يحنث فى يمينه

ولقد شرع الله تعالى ذلك رحمة به وبها لحسن خدمتها إياه ورضاه

عنها ، وهى رخصة فى الحدود أكرمه الله بها وحده

وقد أوحى الله اليه بذلك لما يعلمه عنه من الصبر على تحمل البلاء وعدم الخروج عن طاعة الله ، ولذا قال عنه : « نعم العبد إنه أواب » (أى مقبل على طاعتى)

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلاَ تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص

وصار أيوب بعد ذلك فى أرغد عيش الى أن توفاه الله ، وقيل ان عمره كان ٩٣ ثلاثا وتسعين سنة

وخلف أيوب ولدا اسمه (بشر) نبأه الله من بعده وكنَّاه ذا الكفل

١٣ — قصة ذى الكفل عليه السلام

ذو الكفل عليه السلام هو ابن سيدنا أيوب عليه السلام واسمه فى الأصل بشر، وقد بعثه الله نبيًا بعد أبيه وسماه ذا الكفل

وجاء ذكره فى القرآن فى سورة الأنبياء، فى قوله تعالى :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِى رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الأنبياء

وجاء فى تفسير الطبرى عند ذكر هذه الآية ما يأتى :

يعنى الله تعالى ذكره باسماعيل (اسماعيل بن ابراهيم صادق الوعد) وبادريس أخنوخ، وبذى الكفل رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبى وإما من ملك من صالحى الملوك، بعمل من الأعمال، فقام به من بعده فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به وجعله من المعدودين فى عباده مع من حمد صبره على طاعة الله وأدخله فى رحمته معهم

وجاء فى ذكر الأخبار والأحاديث عنه، أن نبيًا من الأنبياء قال: مَن يتكفل لى أن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب ؟ فقام شاب فقال : أنا . فقال اجلس ثم عاد فقال : مَن يتكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا . فقال :

اجلس . ثم عاد فقال : من يتكفل لى أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب . فقال : أنا . فقال : تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب ، فمات ذلك النبى ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس ولا يغضب

فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل (أى ينام بعد الظهر) فضرب الباب ضرباً شديداً فقال : من هذا ؟ فقال : رجل له حاجة فأرسل معه رجلا فقال : لا أرضى بهذا الرجل ، فأرسل معه آخر. فقال لاأرضى بهذا ، فخرج اليه وأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل

وجاء فى كتاب أخبار الدول ، وآثار الأول للقرمانى ، فى ذكر ذى الكفل عليه السلام مايأتى :

اسمه بشر بن أيوب عليه السلام بعثه الله تعالى بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه

ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا : يابشر إنا قوم نحب الحياة ونكره الممات ، ومع ذلك نكره أن نعصى الله ورسوله فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ، ولا يميتنا إلا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه ، فقال بشر بن أيوب : لقد سألتمونى شيئاً عظيماً ، وكلفتمونى شططاً جسيماً ، ثم قام وصلى ودعا ربه وقال :

« إلٰهي أمرتني تبليغ الرسالة فبلغتها ؛ وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم إني لا أملك إلا نفسي ، وإن قومي قد سألوني فيما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجريرة غيري »

فأوحى الله تعالى اليه : يابشر إني سمعت مقالة قومك ، وإني قد أعطيتهم ماسألوني وطولت أعمارهم فلا يموتون إلا اذا شاءوا فكن كفيلا لهم بذلك ، فبلغهم بشر رسالة الله تعالى وأخبرهم بما أوحى اليه ، وتكفل لهم كما أمره الله تعالى ولذا سمي ذا الكفل

ثم انهم توالدوا وتناسلوا وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت عليهم معيشتهم ، وتأذوا بكثرتهم ، فسألوا بشراً أن يدعو الله تعالى أن يردهم الى آجالهم ، فردهم الى أعمارهم فماتوا . ولذلك كثرت الروم حتى يقال : أن الدنيا درهم خمسة أسداسها الروم ، وسموا روما لأنهم نسبوا الى جدهم روم بن العيص بن إسحٰق

وكان بشر مقيما بالشام حتى مات وكان عمره ٧٥ خمسا وسبعين سنة وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس

١٤ – قصة شعيب عليه السلام

قيل: أن شعيبا من ولد مدين بن إبراهيم ؛ وقيل: أنه لم يكن من ولد إبراهيم إنما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم عليه السلام وهاجر معه الى الشام؛ ولكنه ابن بنت لوط

وان الله سبحانه وتعالى أرسله الى أهل مدين ، وكانوا أهل كفر بالله وسوء معاملة للناس ، يبخسون الناس أشياءهم فى المكاييل والموازين وافساد أموالهم . وكان الله قد وسع عليهم فى الرزق و بسط لهم فى العيش إستدراجًا لهم منه مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره فهو الذى خلقكم و بيده نفعكم وضركم ، ولقد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول و بصدق ما أدعوكم اليه ، فلا تنقصوا المكيال والميزان ، ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تفسدوا فى الأرض (لاتعملوا فى أرض الله بالمعصية) بعد أن قد أصلحها لكم ببعث الأنبياء فيكم ليأمروكم بالمعروف و ينهوكم عن المنكر فان ذلك خير لكم فى دنياكم وأخراكم إن كنتم مؤمنين بقولى

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ

وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف

وكانوا من قطاع الطريق على من يريد الايمان ، يجلسون فى الطريق يخوفون الناس ويخبرونهم أن شعيباً كذاب فيصدون الناس عن الايمان به . فنهاهم شعيب عن ذلك وقال لهم : لا تقعدوا بكل صراط توعدون وتردون عن طريق الله من آمن بالله وصدق به ووحده ، وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وعمل بطاعته طريقاً معوجاً بعيداً عن الحق مائلا الى الزيغ والضلال

وذكرهم شعيب بنعمة الله عليهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم ، وأن رفعهم من الذلة والخسة ، ودعاهم الى شكر الله الذى أنعم عليهم بذلك والاخلاص له فى العبادة إتقاء لعقوبته بالطاعة اليه ، وحذراً من نقمته بترك المعصية ، ووجه نظرهم الى عاقبة المفسدين قائلا لهم : انظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين خرجوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والنقم ، وكيف كانت عاقبة عصيانهم إياه ؟ ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان ، و بعضهم رجماً بالحجارة ، و بعضهم بالصيحة والصواعق المحرقة ؟ ونصح اليهم بالاعتبار بأحوالهم

اذا لم يريدوا أن ينتهوا إلى مثل نهايتهم ، وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال لهم : إن كانت جماعة منكم صدقوا بالذى أرسلت به من إخلاص العبادة لله وترك معاصيه ، وظلم الناس وبخسهم فى المكاييل والموازين فاتبعونى على ذلك ؛ وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه ، فاصبروا حتى يحكم الله فهو خير من يفصل ويعدل بيننا وبينكم

﴿ وَإِنْ كَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

الأعراف

مجادلة أهل مدين لشعيب ومحاجته لهم

لما قام شعيب بدعوة أهل مدين الى الله والى توفية المكيال والميزان بالقسط ، وحفظ حقوق الناس وعدم أكلها بالباطل ، ونهاهم عن الفساد فى الأرض قائلا لهم : إنى أراكم بخير وقد وسع الله عليكم رزقكم وانى أخاف عليكم بمخالفتكم أمر الله أن ينزل بكم عذاب يحيط بكم وأن ما أبقاه الله لكم من المباحات خير لكم من المحظورات التى نهاكم عنها .
قالوا له متهكمين به : أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام وألّا نتصرف فى أموالنا على مانشاء من كسر الدراهم وقطعها وبخس الناس فى الكيل والوزن ؟ إنك لأنت الحليم الرشيد الذى لا يحمله الغضب على أن يفعل مالم يكن ليفعله فى حالة الرضا

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ نَفْعَلَ

فِي أَمْوَالِنَا مَانَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ هود

فحاجهم شعيب وقال لهم : ياقوم أرأيتم ان كنت على بيان و برهان وحجة من ربى فيما أدعوكم اليه من عبادته والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ، ورزقنى منه رزقاً حسناً حلالا طيباً ، وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه بل أفعل ما آمركم به وانتهى عما أنهاكم عنه ؛ لأنى لاأريد إلَّا إصلاحكم وصلاح أمركم ما استطعت ، حسب قدرتى لئلا ينالكم من الله عقوبة شديدة وأسأل الله أن يوفقنى لما فيه صلاحكم وصلاح أمركم فانه هو المعين لى على ذلك ، فقد فوضت أمرى اليه وجعلت اعتمادى وتوكلى عليه

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود

وأخذ يكرر لهم احتجاجه ويقول : يا قوم لا يحملنكم عداوتى وبغضى على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان وبخس الناس فى المكيال والميزان ، وترك الانابة والتوبة ، فانى أخشى عليكم أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود

من الريح ، أو قوم صالح من الرجفة ، وما قوم لوط ببعيدين عنكم فان فيما آلوا اليه عبرة لكم، فاعتبروا بهؤلاء واحذروا أن يصيبكم بشقاقى ومعاداتى لكم مثل الذى أصابهم

﴿ وَيَاقَوْمِ لَايَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمِ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾

هود

ثم طلب منهم أن يستغفروا ربهم وأن يتوبوا إليه فإنه رحيم بعباده محب لهم

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾

هود

فأكثروا جداله وجهدوا جهدهم فى إدحاض دعواه وقالوا له : ياشعيب إنا لانفهم ولانعلم حقيقة كثير مماتقول وتخبرنا به،وإنا لنراك ضعيفاً فينا؛ولولا أن عشيرتك عزيزة علينا لما تجمعنا وإياها لحمة النسب لرجمناك وقتلناك فأنت لست علينا بعظيم

﴿ قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَانَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ هود

فراجعهم شعيب وقال لهم: ياقوم، أعشيرتى أعز عليكم من الله الذى

أرسلني إليكم، وقد جعلتم أوامره منبوذة وراء ظهوركم، لا تأتمرون بأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظمونه حق عظمته، إن ربي محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه منه شئ وهو مجازيكم على جميعه عاجلا وآجلا

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ هود

واختتم احتجاجه بقوله: ياقوم اعملوا كل ماتستطيعون عمله ضدى، وأنتم على غاية تمكنكم منه، فإني من جهتي عامل على الثبات ومصمم على الطلبات، وهي الدعوة إلى الله وترك عبادة الأوثان وحسن معاملة الناس وعدم أكل حقوقهم بالباطل

وقصارى القول أنكم سوف تعلمون أينا الجاني على نفسه والمسىء إليها، والمصيب في فعله المحسن إليها؛ ومن منا أيها القوم الذي سيأتيه عذاب من الله يخزيه ويهينه؟ ومن منا الكاذب؟ فانتظروا العذاب إني معكم من المنتظرين

﴿ وَيَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ هود

وكان شعيب في محاجته لهم ونصحه إياهم كخطيب مصقع حتى أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عنه :

ذاك خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم . (كما رواه ابن اسحٰق عن يعقوب بن أبى سلمة)

تهديد أهل مدين لشعيب والمؤمنين معه بإخراجهم من القرية

لما أحرج شعيب قومه بدعائهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وحسن المعاملة والاستقامة اجتمع طائفة من الرجال الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب لما حذرهم بأسه على خلافهم وكفرهم قالوا له : ياشعيب لنخرجنك ومن تبعك وصدَّقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أو لترجعن أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ الأعراف

فقال لهم شعيب : أتخرجوننا من قريتكم وتصدوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين ذلك ؟

﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ الأعراف

ثم قال شعيب لقومه حينما دعوه إلى العود إلى ملتهم والدخول فيها وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم إن لم يفعل ذلك : نكون قد

اختلقنا على الله كذباً، وقلنا ماليس بحق، إن نحن عدنا فى ملتكم ورجعنا فيها بعد أن أنقذنا الله منها، بأن هدانا إلى خطئها وصواب مانحن عليه ولا يتسنى لنا أن نرجع فيها وندين بها ونترك مانحن عليه من الحق إلا أن يشاء الله ويكون سبق لنا فى علم الله أننا سنعود فيها فينفذ فينا قضاء الله وتسير علينا مشيئته، فإن علم ربنا وسع كل شئ فأحاط به ولا يخفى عليه شئ لافى الأرض ولا فى السماء، وإلا فنحن غير عائدين فى ملتكم وقد اعتمدنا فى أمورنا كلها على الله.

ثم لما يئس من إذعان قومه له، وانقطع رجاؤه منهم الطاعة والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه، وعلى من تبعه من مؤمنى قومه دعا عليهم فقال: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أى أُحكم بيننا وبينهم بحكمك العادل الذى لا ظلم فيه ولا جور، فأنت خير الفاتحين الحاكمين. وذلك قوله تعالى:

﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ الأعراف

فقالت الجماعة الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا فى

غيهم وطغيانهم من قومه للآخرين منهم :

لئن اتبعتم شعيباً فيما يقول وأجبتموه إلى مايدعوكم إليه من توحيد الله وأقررتم بنبوته لتكونن إذاً خاسرين مغبونين فى فعلكم وترككم ملتكم وهالكين

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخَاسِرُونَ ﴾ الأعراف

فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والطرد من بلادهم وعتوا عن أمر الله أخذتهم الرجفة (الزلزلة) المحركة لعذاب الله فأصبحوا فى دارهم راكعين (جاثمين) على ركبهم وأهلكهم الله وأبادهم فصارت قريتهم خاوية منهم كأن لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها ؛ وكانوا الهالكين الخاسرين

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ الأعراف

أما شعيب فقد نجاه الله والذين آمنوا معه برحمته فأدبر عنهم ساخطا حينما أتاهم عذاب الله وقال لهم لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه وكفروا بآيات الله :

ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت اليكم مابعثنى به من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر وظلم الناس وأكل حقوقهم بالباطل

ونصحت لكم بطاعة الله ونهيتكم عن معصيته ، و إني ليحزنني عدم قبولكم نصحي وأتألم لعذابكم

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ﴾ الأعراف

ثم عاد فقال : كيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم ؟

﴿ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ الأعراف

شعيب وأصحاب الأيكة

بعد أن أهلك الله أهل مدين لكفرهم به وعدم اتباع رسولهم ونجى شعيبًا والذين آمنوا معه أرسله الى أصحاب الأيكة (وهي غيضة تنبت ناعم الشجر الملتف بالقرب من مدين تسكنها طائفة من عباد الله)

وكان شعيب أجنبيًا عنهم ، وكانوا على مثل طريقة أهل مدين من تكذيب شعيب وعدم الاذعان لأمره إذ قال لهم : إني لكم من الله رسول أمين على وحيه فاتقوا عقاب الله على خلافكم أمره وأطيعون ترشدوا

ولست أسألكم على نصحي لكم من جزاء أو ثواب فما جزائي

وثوابى على ذلك إِلَّا من رب العالمين، فأوفوا الناس حقوقهم من الكيل ولا تكونوا من المخسرين ؛ وزنوا (بالقسطاس) بالميزان المستقيم الذى لايبخس فيه الوزن على من وزنتم له، ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والوزن، ولا تكثروا فى الأرض الفساد واتقوا الله الذى خلقكم وخلق من تقدمكم من الخلائق

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء

فقالوا له : إنما أنت ياشعيب مختل العقل بالسحر المتكرر، ولست ملكاً وما أنت إلا بشر مثلنا تأكل وتشرب، وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه إِلَّا ممن يكذب فيما يقول، وطلبوا منه برهاناً ودليلاً على ذلك بأن قالوا :

إن كنت صادقاً حقاً فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم فاسقط علينا (كسفاً) قطعاً من السماء

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ الشعراء

فأجابهم شعيب قائلا : إن ربى أعلم بأعمالكم محيط بها لايخفى عليه شئ منها وهو مجازيكم عليها

﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الشعراء

فلما كذبوه أخذهم الله بعذاب « يوم الظُّلّة » بأن سلط عليهم الحرَّ سبعة أيام حتى غلت مياههم ، ثم ساق إليهم سحابة فاستظلوا تحتها من شدة الحرِّ المنبعث عليهم فأمطرت عليهم ناراً فأحرقتهم وأهلكتهم وسمى هذا اليوم بيوم الظلة ، وكان عذاب يوم الظلةِ عذاباً عظيماً لهم

وكان فى ذلك دليل وحجة لهم لو أنهم كانوا يرشدون ، وما كان أكثرهم بمؤمنين

وإن الله لهو العزيز فى نقمته ممن انتقم منه من أعدائه ، الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب إلى طاعته

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشعراء

١٨ — داود عليه السلام

نسبه — هو كما جاء فى الإنجيل — داود بن يس بن عويبد بن بوعز ابن سلمون بن نحشون . بن عميناداب . بن آرام . بن حصرون . بن فارص . بن يهوذا . بن اسحٰق . بن إبراهيم عليه السلام

داود ملكاً قبل أن يكون نبياً

قد جعل الله داود ملكاً على بنى إسرائيل بعد قتل ملكهم (طالوت)

والأصل فى تعيين (طالوت) ملكاً عليهم ، أنه كان قوم يقال لهم (العمالقة) ، يسكنون بين مصر وفلسطين ، غزوا بنى إسرائيل أذاقوهم بأس الحرب ، وكان لهم ملك يقال له (جالوت) فطلب بنو إسرائيل من نبى لهم يقال له (صمويل أو شمويل) أن يعين لهم ملكا يقودهم إلى قتال أعدائهم الذين أذلوهم دهراً طويلا ويدافع عنهم ضد من يريد الإغارة عليهم

وكان (صمويل) عالما بعقلية بني إسرائيل وعاداتهم وماانطوت عليه أنفسهم فقال لهم : أخشى إن كتب عليكم القتال أن تجبنوا ولا تقاتلوا وألَّا تفوا بما تعدون الله به من أنفسكم من الجهاد فى سبيله فإنكم أهل

غدر وقلة وفاء بما تعدون . فقالوا لنبيهم : وأى شئ يمنعنا أن نقاتل فى سبيل الله عدونا وعدو الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا بالقهر والغلبة؟

فلما فرض عليهم قتال عدوهم والجهاد فى سبيله جبنوا وأدبروا مولين عن القتال وضيعوا ماسألوه نبيهم من فرض الجهاد إلّا قليلا منهم فقد ثبت على الجهاد والله عليم بمن ظلم نفسه منهم وأخلف وعده وخالف أمر ربه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ البقرة

وقال لهم نبيهم (شمويل) إن الله قد أعطاكم ماسألتم وبعث لكم (طالوت) ملكا

فلما قال لهم نبيهم ذلك . قالوا : أنى يكون لطالوت الملك علينا وهو من سبط بنيامين بن يعقوب وسبط بنيامين لاملك فيهم ولا نبوة ؛ ونحن أحق بالملك منه، لأننا من سبط يهوذا بن يعقوب ولم يؤت كثيراً من المال ؛ لأنه كان فقيراً وقيل : أنه كان سقاء أودباغاً

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾ البقرة

فقال لهم نبيهم : إن الله اصطفاه عليكم واختاره لكم ، وبسط له فى العلم والجسم ، وآتاه من العلم فضلا كبيراً على ماأوتى غيره ، وان الله يؤتى ملكه من يشاء ، فيضعه عنده ويخصه به ويمنحه من أحب من خلقه ، فلا تستكبروا يامعشر القوم من بنى إسرائيل ، أن يبعث الله (طالوت) ملكا عليكم وإن لم يكن من أهل بيت المملكة ، فإن المُلك ليس بميراث عن الآباء والأسلاف ؛ ولكنه بيد الله يعطيه من يشاء من خلقه ، فلا تتخيروا على الله ، والله واسع فضله فينعم به على من أحب ، ويريد به من يشاء عليم بمن هو أهل للملكه

﴿ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة

فقالوا له : إئت لنا بآية تدل على ذلك إن كنت من الصادقين .

فقال لهم : إن آية مُلكه أن يأتيكم التابوت (وهو الصندوق المحفوظ فيه التوراة الذى كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوا لهم قدموه أمامهم

وزحفوا معه فلا يقوم لهم معه عدد ولا يظهر عليهم أحد على صورة خارقة للعادة قيل انه رأس إنسان على جسم سمكة محمولا على أيدى الملائكة) فمتى رأيتموه سكن فؤادكم واُطمأن بما فيه من آثار الأنبياء مما ترك آل موسى وآل هارون . وان ذلك لعلامة ودلالة أيها القوم على صدقى فيما أخبرتكم به إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة

فحينما رأوا التابوت صدقوا عند ذلك نبيهم ، وأقروا بأن الله قد بعث (طالوت) ملكا عليهم وأذعنوا له بذلك

فلما خرج بهم (طالوت) بجنوده لقتال العدو من بيت المقدس ، وقيل كان عددهم ٨٠ ثمانين ألف مقاتل ، ولم يتخلف من بنى إسرائيل عن الخروج معه إلا من كان ذا علة ، أو كبيراً لهرمه ، أو معذوراً لا طاقة له بالنهوض معه ، وقال لهم طالوت : إن الله ممتحن طاعتكم وإخلاصكم بنهر تصادفونه (وكان الوقت حراً وعطشوا وشكوا اليه قلة المياه بينهم وبين عدوهم وسألوه أن يدعو الله لهم أن يجرى بينهم نهراً)

قيل: أنه نهر بين الأردن وفلسطين ، فمن شرب من مائه فليس هو من أهل الله ولا من المؤمنين به ولا بلقائه ، ومن لم يشرب الماء من ذلك النهر ولم يذقه ، فهو من أهل ولايته وطاعته ، إلّا من اغترف منه غرفة بيده ، فتلك مسموح بها لتسكين شدة الظمأ ، فشرب القوم على قدر يقينهم . أما الكفار فجعلوا يشربون فلا يروون ، وأما المؤمنون فجعل الرجل يغترف غرفة بيده فترويه

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ البقرة

فلما رأى (طالوت) ذلك أخذ الذين صدقوا واتبعوا أمره وترك الذين لم يصبروا على ابتلاء الله إياهم وعبر بهم النهر

فلما قربوا من جيش (جالوت) ملك العمالقة وأبصروا ماهم عليه من الكثرة واستكمال العدة قالوا : لاطاقة لنا اليوم بقتال هؤلاء ، فثبت الذين يعتقدون أنهم راجعون الى ربهم ان استشهدوا فى القتال وقالوا كم من جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة

ولما برزوا لجيش (جالوت) دعوا الله قائلين : ربنا أنزل علينا صبراً من عندك ، وثبّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، فهزموهم بإذن الله

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ ﴾

البقرة

قتل جالوت بيد دواد

وكان من حاضرى الحرب (داود بن يسى) وكان صغيراً يرعى الغنم لافضل فيه للحرب ، ولكن أباه أرسله إلى إخوته الثلاثة الذين مع (طالوت) ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم، فرأى (جالوت) وهو يطلب المبارزة والناس قد خافته لما ملأ نفوسهم من هيبته ، وتيقن كل مبارز له أنه هالك لامحالة

فسأل داود عما يكافأ به قاتل هذا العدو الجبار الفسلطيني ؟ فأجيب بأن الملك يعطيه نصف ملكه ، ونصف كل شئ يملكه

فانطلق داود الى طالوت وقال له : إنك قد جعلت لمن يقتل جالوت نصف ملكك ، ونصف كل شئ تملكه أفلى ذلك إن قتلته ؟

قال له : نعم ؛ والناس يستهزئون بداود وإخوته أشد من هنالك عليه ؛ فألبسه طالوت درعا وأمره أن يتقدم

فتقدم داود الى جالوت و بعد كلام معه رماه بحجر فقتله

فقال داود لطالوت : أوف بما جعلت لى ؛ فأبى طالوت أن يعطيه ذلك

فانطلق داود فسكن مدينة من مدائن بنى إسرائيل حتى مات طالوت

فلما مات عمد بنو إسرائيل الى داود فجاءوا به وملكوه وأعطوه خزائن طالوت وقالوا : لم يقتل جالوت إلّا نبى . وكافأه الله بأن جعله ملكا على بنى إسرائيل ، وأعطاه الحكمة وعلمه مما يشاء من صناعة الدروع ؛ قال تعالى :

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء ﴾ البقرة

داود نبيا ومعجزاته ونعم الله عليه

لما ملك داود بنى إسرائيل جعله الله نبيًا وملكاً ، وكانت بلاد القدس قاعدة ملكه ومقر سلطنته ، وأنزل عليه الزبور (وجميعه حكم ونصائح ومواعظ وأدعية وأناشيد ، وليس فيه شئ من الأحكام الشرعية) كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾

الإسراء

وكان يقرأ الزبور بصوت جميل ، فاذا سمع صوته مريض برئ ، وكانت تجتمع عليه الانس والجن والوحوش عند ما يقرأ بصوته الحسن ويسكن الريح ويركد الماء ، وكان اذا سبح سبح معه الجبال والطير أيضا ؛ وكان إذا أمسك الحديد يلين فى يده ويصير كالطين المبلول ، يصرفه فى يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد

وكان يصنع الدروع (وهو أول من صنعها) وصنع حلقاتها ونسجها من الصفائح، ومع هـذا كله كان يعمل هو وأتباعه بطاعة الله ، وكان الله بصيراً بما يعملون ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اُعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ وَاُعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سبأ

وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة ، فكان يقوم الليـل و يصوم نصف النهار ، وكان مطيعاً لله ، يرجع عما يكرهه الله الى ما يرضيه ، ولذا قد سخر له الله الجبال تسبح معه من وقت العصر الى الليـل ووقت الضحى

فكان اذا سبح سبحت معه الجبال ؛ وسخر له الطير يسبحن معه أيضا محشورة ومجموعة له ، وكانت جميعها مطيعة له ترجع إلى أوامره ؛ وقد حفظ الله ملكه وحرسه ،فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف، وأعطاه الله النبوة والحكمة، أى السُّنة والفصل فى الخصومات التى يختصم الناس فيها اليه ، وإصابة القضاء والبينات ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ ص

قضاؤه وعدله

فمن القضايا التى نظرها وفصل فيها القضية الآتية وهى :

أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث أى زرع ، والثانى صاحب غنم، فقال صاحب الزرع : إن غنم هذا الرجل أكلت زرعى . فحكم داود على صاحب الغنم بأن يعطى لصاحب الزرع الغنم ، وكان ولده سليمان عليه السلام جالسًا بجواره ، وكان عمره وقتئذ إحدى عشرة سنة ؛ فقال له أبوه : اقض أنت بينهما

فأجاب سليمان أن يسلم لصاحب الزرع الغنم سنة كاملة ليعيش بنسلها ولبنها وصوفها إلى أن يرجع زرعه كما كان فإذا تمت السنة يردها لصاحبها ؛ فنفذوا حكم ولده سليمان عليهما السلام، وفى ذلك قوله تعالى:

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً ﴾ الأنبياء

أما القضية الثانية فهى: أنه دخل عليه من سور غرفته فى يوم خلوته للعبادة والاحتجاب والحرس على الباب أناس ففزع منهم، فقالوا له : لاتخف، نحن خصمان مختصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق ولا تطغ فى الحكم واُهدنا إلى العدل ؛ وشرحوا له القضية كما يأتى :

إن هذا أخى فى الدين ، له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة (وهى الأنثى من الضأن) فقال ملكنى إياها لتكمل نعاجى مائة، وغلبنى فى الخطاب بفصاحة لسانه وقوة بطشه

فأجاب داود قائلا : لقدظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيراً من الخلطاء والشركاء والأصحاب ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل وجودهم الآن

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى

دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْض فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَة وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ ﴾ ص

الفتنة التى ابتلاه الله بها

لما جاء الخصمان ومن معهما فى غير وقت القضاء أضمر داود عليه السلام عقابهم؛ لأنه ظن أنهم أهل بغى وشر وفساد وأذى؛ ولكن لما علم عذرهم وأنهم على حق ، وأنهم مضطرون لما فعلوا لأن الحُجَّاب منعوهم من الدخول عليه من الباب

لما علم ذلك كله ظن أنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، ليزيده الله بذلك إيمانا ويقينا وصبراً واحتمالا،فيعظم له أجرا،فاستغفر الله وأناب إليه،وخرَّ راكعًا مدة طويلة وهو يبكى على مافرط منه،إلى أن غفر الله له ذنبه وجعله من المقربين إليه فى درجة عالية ، وله حسن العاقبة فى الآخرة ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص

« وجاء فى كتب الفقه أن سيدنا داود عليه السلام أول من صلى صلاة الظهر حيث تاب الله عليه وقت زوال الشمس فصلى أربع ركعات شكرا لله لقبول توبته »

ثم قال الله له ناصحًا ومذكراً : ياداود إنا جعلناك خليفة لمن قبلك من الأنبياء، فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع هواك فيضلك عن سبيل الحق، فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله؛ لأن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذى شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون فى الدنيا ويظلمون الناس، لهم فى الآخرة عذاب شديد بما نسوا أمر الله، وبما تركوا القضاء بالعدل يوم الحساب

﴿ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ص

وفاة داود عليه السلام

وتوفى داود عليه السلام وعمره مائة سنة وستة أشهر ودفن فى بيت المقدس وكان مدة خلافته أربعين سنة

العبرة من قصة داود عليه السلام

أولا – أن الله أنعم عليه واختصه بأعمال عجيبة لم يكن لتصدر من مثله؛ لأنه كان غلاماً راعياً للغنم، فقتل الله تعالى على يديه جالوت الجبار الذى تخافه الأبطال، ولم يقاتله بسيف ولا رمح، ولم ينزل إليه بدرع ولا ترس، وإنما قتله بحجر أرسله من المقلاع، فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد

ثانيا – أن الشخص الضعيف لاينبغى له أن ييأس من النجاح، واحراز أسباب الفلاح، مادام معتصما بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى

ثالثا – أن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود، ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء، بل لم يزده هذا الأمر إلا تواضعاً، وكان الله يرفعه درجات كلما تواضع وشكر

رابعا – أن طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد لقوله تعالى :

﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فان الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه، فألان له الحديد، وعلمه صنعة الدروع المسرودة لتحصن الناس من البأس ، وأنعم عليه بولده سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه وحكمته لقوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص

بناء بيت المقدس

قيل : أصاب الناس فى زمن داود عليه السلام طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس . فلما وقف موضع الصخرة دعا ربه فى كشف الطاعون عنهم، فاستجاب له ورفع الطاعون ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً وكان الشروع فى بنائه لأحدى عشرة سنة مضت من ملكه

وتوفى قبل أن يتم بناءه ، وأوصى الى سليمان ابنه باتمامه ، وقتل القائد الذى قتل أخاه (ابشا بن داود) فلما توفى داود عليه السلام ودفنه سليمان تقدم بانفاذ أمره ، فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناء فاخراً ، فلما فرغ اتخذوا ذلك اليوم عيداً عظيماً وقرَّب قربانا فتقبله الله منه ، وكان ابتداؤه أولا ببناء المدينة ، فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد

١٦ – قصة سليمان عليه السلام

لما توفى داود عليه السلام ملك بعده ابنه سليمان عليه السلام على بنى إسرائيل ، وكان عمره ثلاث عشرة سنة ، فسأل الله أن يؤتيه ملكاً لاينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب له وجمع له بين الملك والنبوة كأبيه ، وأنعم عليه بنعم كثيرة :

١ – فقد منحه الله الذكاء ، وإصابة الحكم منذ صباه ، وتدل على ذلك قصة الحرث الذى نفشت فيه غنم غير أهله ، فقد وفق الى الحكم الأصوب فيها ، وكان ذلك بحضور والده داود (وقد تقدمت فى قصته) وهناك قصة أخرى تعزى اليه ، وهى مدونة فى كتب المطالعة للأطفال : خرج امرأتان ومعهما صبيان ، فعدا الذئب على صبى إحداهما فاختصمتا فى الصبى الباقى الى داود عليه السلام فقصتا عليه القصة فحكم به للكبرى منهما

فاختصمتا الى سليمان عليه السلام فقال : ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما النصف ، فقالت الصغرى (وهى أم الغلام) أتشقه يارسول الله ؟ قال : نعم . قالت : لاتفعل ؛ فنصيبى فيه لها ، وأشفقت على ولدها من القتل

فقال عليه السلام : خذيه فهو ابنك وقضى به لها

فهذه القصة تدل على شدة ذكاء سليمان عليه السلام وفراسته وهو لم يكتسبها بكثرة التجربة ، وطول المدة ، بل حصلت بعناية ربانية والطاف إلهية ، واذا قذف الله تعالى شيئا من أنوار مواهبه فى قلب من يشاء من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ، ورجح على ذوى التجارب فى كثير من الأسباب

٢ – قد سخر له الريح الشديدة العاصفة تحمل بساطه، وتجرى بأمره الى الأرض المقدسة التى بارك الله فيها ، وهى أرض الشام ، وذلك أنها كانت تجرى بسليمان وأصحابه الى حيث شاء تعود به الى منزله بالشام . وكان الله عالمـًا بما أعطاه من الملك وبما سخره له من الريح فهو على كل شئ قدير ، لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء وذلك قوله تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء

وكانت هذه الريح تسير وقت الذهاب مسيرة شهر ، ومثلها فى وقت الرجوع ؛ كما قال الله تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ سبأ

٣ – قد أخضع له من الشياطين من يغوصون فى البحار ، ويستخرجون له منها اللآلئ وكريم الأحجار ، ويعملون له أعمالا جليلة من البنيان ، والتماثيل ، والمحاريب ، وكان الله لهم حفيظًا ؛ وذلك قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ الأنبياء

٤ – وقد أسال الله لسليمان (عين القطر) وهو النحاس المذاب

٥ – وسخر له الجن فتطيعه وتنفذ أمره ويعملون له ما يشاء بإذن ربه من عظيم المبانى وضخمها ، والعمارات ، والتماثيل ، والقدور الراسيات التى لا تتحرك من أماكنها يصنع فيها الطعام ، والجفان التى كانت واسعة جدًا كالحياض ، بحيث أن من يعدل من الجن عن أمر ربه ويزيغ عن طاعة سليمان ، فإن الله يذيقه عذاب السعير فى الآخرة ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ سبأ

وقد ذكر الله آل داود بهذه النعم وأمرهم بطاعته شكرًا له على

ماأنعم به عليهم من تلك النعم التى خصهم بها دون سائر خلقه؛وقليل من عباد الله المخلصون فى توحيده،والقيام بواجب شكره،وفى ذلك قوله تعالى:

﴿ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ سبأ

٦ - أكرمه الله بالخيل الجيدة (الصافنات) فكان يحبها ليس لأمر الدنيا وحب النفس و إنما كان يحبها لأمر الله تعالى ليستعين بها على الشدائد تقوية لدين الله وللغز و والجهاد فى سبيل الله

وقد جلس وقت العصر وأمر بإحضار الخيل لعرضها عليه،ثم أمر عليه السلام بتسييرها حتى غابت الشمس عن بصره وتوارت، وقدنسى صلاة العصر (النافلة لاالفرض) فقال نادما متأثراً : إنى أحببت وآثرت حب الخيل عن صلاة العصر (النافلة) وقدمت استعراض الخيل وأنا ناس بل قدمته من غير قصد على الصلاة حتى توارت الشمس وغابت بالأفق عن العيون . ولما أتم استعراضها و وجد أنها شغلته وتذكر أن صلاة العصر النافلة فاتته عن وقتها أمر الجند الراكبين عليها أن يردوها اليه فلما عادت أخذ يمسح سوقها وأعناقها (كما يفعل الآن بعض الناس المولعين بحب الخيل) محبة منه لها(كما جاء عن ابن عباس)وتشريفاً لها لكونها من أعظم الأعوان لدفع العدو

ويقول بعض المفسرين أنه أخذ يضرب سوقها وعنقها بالسيف لغيظه من فوات الصلاة بسببها ، ولا يعقل إن نبى الله يعذب حيواناً ويهلك مالاً بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها

ولا ذنب لها باشتغاله كما قال الطبرى

وكان عليه السلام يفعل ذلك تواضعًا منه ، حيث أنه يباشر أكثر الأمور بنفسه، ولأنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها (كأعظم طبيب بيطرى) وكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها ليعلم مافيها من مرض أو علة ؛ وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ص

فتنة سليمان والقاء الجسد على كرسيه

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص

جاء فى الحديث الشريف عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ؛ فقال له صاحبه (الملك الذى يأتيه بالوحى) قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون »

وعلى هذا الحديث يكون تفسير الآية المذكورة الكريمة (كما ذكرها فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالفتاح خليفة فى مجلة الإسلام العدد ١٩ من السنة الثانية) كما يأتى :

قال الله تعالى – بعد مابين ما كان لسليمان عليه السلام من الملك والخبرة بالخيل، وحب الغزو والرغبة فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وإعداد العدة لذلك :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ بن داود عليهما السلام بعظم الملك، وقوة الجسم، وكمال الإيمان، حتى وثق بربه كل الوثوق، وجعل إذا طلب أمراً أو شرع فى شئ يعلم يقينا أنه مجاب ، وأن هذا الأمر حاصل وواقع تحفظاً له عليه السلام، وإعلاء لدرجته، وزيادة فى إيمانه، وتنبيها له على ألا

يترك كل ما يكمله ولو كان مباحاً أو خلاف الأولى لم يجب قوله هذه المرة لتركه التفويض باللفظ و إن كان مفوضاً بالقلب

﴿ وأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾ أى شقاً نصف إنسان مع أنه طلب مائة أو تسعة وتسعين ، أو سبعين أو ستين ، أو أربعين ، فعلم عليه السلام أن الوثوق التام بالله تعالى من الإيمان ؛ ولكن الأولى والأجدر بالأنبياء هو التفويض التام باللفظ والقلب لله عز وجل فى كل الأمور .

ثم أنه عليه السلام بعد ماعرف ذلك ﴿ أَنَابَ ﴾ إلى ربه وتاب أن يقول إلّا مفوضاً له عزوجل بالقلب واللسان معاً كما قال الله تعالى .

﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ الكهف

و بعد أن تاب وأناب دعا ربه طالباً المغفرة والملك العظيم

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى ﴾ ما كان منى ﴿ وَهَبْ لِى ﴾ من لدنك ﴿ مُلْكاً ﴾ عظيما أزيد مما معى أستطيع به إعلاء كلمتك والدعوة إلى توحيدك ﴿ لاَ يَنْبَغِى ﴾ أن يكون مثل هذا الملك ﴿ لِأَحَدٍ ﴾ من الأنبياء وغيرهم من بنى إسرائيل ﴿ مِنْ بَعْدِى ﴾ من الاسرائيليين ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا مولاى ﴿ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ كثير العطاء لك من فى الأرض والسماء

فأجاب الله دعاءه وسخر له الريح والشياطين مما لم يكن لأحد من بعده من بنى إسرائيل

ملحوظة — طلب المغفرة لا يدل على وقوع الذنب ، بل هو لأن الانسان لا ينفك فى حديث نفس وحدوث خواطر ، فهو يطلب المغفرة ليكون على أتم صفاء وخلوص قلب ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة ؛ فهذا الاستغفار من باب الذكر والعبادة وليس لحدوث ذنب ، قال الله تعالى :

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ المؤمنون

وكل هذه النعم التى أعطاها الله اليه هى من عطاء ربه وهبها اليه وأمره أن يتصرف فيها كيف يشاء ، فيعطى من يشاء ، ويمنع من يشاء بغير حساب عليه فى ذلك ، لأنه قد نال عند ربه الزلفى وحسن العاقبة

٧ — إن الله تعالى علمه لغة الطير ، ومنحه من جميع النعم قسطاً وافراً ، وهذا هو فضل الله المبين يؤتيه من يشاء

٨ — وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فى مسيرهم يساقون ويتلاحقون حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادى النمل

قالت نملة لاخوتها : يامعشر النمل ادخلوا مسا كنكم لـكيلا يهلـكنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون بكم ، فلما سمعها سليمان عليه السلام تبسم ضاحكا من قول النملة وقال : رب اجعلني بحيث أحتفظ بشكر نعمك التي تفضلت بهـا على وعلى والدى ، وأن أعمل عملا صالحـاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل

وتعرّف وفود الطير التى كانت تجتمع عنده، فلما تفقدها لم يجد من بينها الهُدهُد فقال : مالى لاأرى الهُدهُد أهو حاضر ولست أراه لشئ يستره عنى أم كان من الغائبين ؟

ووعد بأن يعـذبه عذاباً شديداً أو يذبحه عقاباً له وزجراً لأمثاله أو يأتيه بحجة بينة تظهر لى عذره

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ النمل

سليمان وملكة سبأ (بلقيس)

لما جاء الهُدهُد بعد أن غاب أمداً غير بعيد ، سأله سليمان عليه السلام عن سبب غيبته وتخلفه عن الحضور ، فقال له : علمت مالم تعلم وجئتك من سبأ بخبر يقين ؛ ثم قال الهُدهُد أيضا : يانبى الله إنى وجدت إمرأة تملك بنى سبأ (وهى بلقيس بنت شراحيل) وقد آتاها الله من كل شئ يحتاج اليه الملوك فى ترفهم ، ولها عرش عظيم فيه أنواع الزينة والجواهر ، وجدتها وقومها وثنيين يعبدون الشمس ، وقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فمنعهم أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ، فهم لايهتدون إلى سبيل الحق ولا يسلكونه ؛ ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يترددون . وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل

فلما سمع سليمان كلام الهدهد أراد أن يختبره ليعلم إن كان صادقاً في خبره أم كاذباً؟ فأعطاه كتاباً ليوصله إلى الملكة وقال له : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تنح عنهم وانظر ماذا يقولون ؟

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾
النمل

فذهب الهدهد بكتاب سليمان عليه السلام فألقاه على سريرها فأخذته ؛ ولما قرأته قالت لقومها : يامعشر القوم إني ألقي إلي كتاب كريم مكتوب فيه « إنه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم » فالقصد ألا تتكبروا عليَّ وأتوني منقادين لله بالوحدانية والطاعة.

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ النمل

لم ترد الملكة أن تستبد بالإجابة فجمعت رجال دولتها وأهل مشورتها من الأقيال وغيرهم ، وأعلمتهم بالكتاب وقالت لأشراف قومها : يأيها الملأ أشيروا عليَّ في أمري الذي قد حضرني من أمر

صاحب هذا الكتاب الذى ألقى الىّ فانى لا أقضى أمراً فى ذلك دون مشورتكم فيه

﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ النمل

فأعربوا أنهم لاشأن لهم بالسياسة وأنهم رجال طعان لاغير وقالوا : نحن ذوو القوة على القتال والبأس الشديد فى الحرب ، والأمر أيتها الملكة اليك فى القتال وفى تركه ، فانظرى من الرأى ماترين ونحن طائعون لأمرك ؟

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ النمل

كانت الملكة عاقلة فنظرت فى الأمر بعين الروية والفطنة ، ولم تغتر بما أبداه رجالها من الحماسة ، فقالت لهم : إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها وخربوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وذلك باستعبادهم الأحرار واسترقاقهم إياهم وكذلك يفعلون كما قال الله تعالى :

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل

ثم عرضت عليهم رأياً آخر وجدته أقرب الى الصواب وقالت لهم :

إني مرسلة إلى سليمان بهدية لنختبره بذلك، ولنعرف إن كان هو ملكا أم نبيًا ؟ فإن يكن نبيًا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه ؛ وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف ، فلننظر ما ذا يقول رسلي عند رجوعهم ؟ أبقبول وانصراف عنا ، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه ؟

﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ النمل

فلما جاءت رسلها إلى سليمان بالهدية لم يقبلها وأظهر أنه ليس فى حاجة الى أموالهم ، وأنه فى حالة حسنة ، واتساع ثروة أحسن مما فيه الملكة وقومها، وقال لهم : ان الله آتانى من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ، وإني لا أفرح بهديتكم التى أهديتم الىَّ بها ؛ بل أنتم تفرحون بالهدية التى تهدى اليكم؛ لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأموالها من حاجتى؛ لأن الله تعالى مكنني منها وملكني فيها مالم يملك أحداً

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِىَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ النمل

ثم توعدهم وملكتهم بأن يرسل إلى بلادهم بجنود لاقبل لهم بها ،

وان عاقبة ذلك إخراجهم من بلادهم أذلة صاغرين وقال لرسول الملكة: ارجع اليهم ، فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم ، ولا طاقة لهم بها ، ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم ، ولنخرجن من أرسلكم من أرضكم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتونى مسلمين طائعين مقرّين بوحدانية الله

﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَاقِبَلَ لَهُمْ بِهَاوَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ النمل

فلما جاء الخبر مع الرسل الى الملكة وعلمت عظمة سليمان وقوة ملكه ، وأشفقت على قومها استقر رأيها على الذهاب اليه فى جمع من رجال دولتها، وجاءت الى (اورشليم) بهدية عظيمة

فلما علم سليمان بعزم ملكة سبأ على زيارته فى عاصمة ملكه شيَّد لها قصراً عظيما فخما لاعهد لأهل اليمن برؤية مثله

ولما قربت من ديار سليمان أراد سليمان أن يظهر لها من دلائل عظمته ونعم الله تعالى عليه مايبهرها ، وأن ترى بعينها مالم تره فى الأحلام بفعل عجيبة ظاهرة ، وهى : أن يأتيها بعرشها الجميل ليكون جلوسها عليه فى ذلك الصرح . فسأل جنوده عن قوى يأتيه بذلك العرش وقال لهم : أيها الملأ أيكم يأتينى بعرش هذه الملكة قبل أن يأتونى طائعين

مسلمين ؟ فقال عفريت من الجن : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وانى عليه لقوى أمين

قال سليمان : أنا أريد أعجل من ذلك

قال رجل من الإنس (عنده علم من الكتاب فيه إسم الله الأكبر الذى إذا دعى به أجاب) أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (أى قبل أن يرجع إليك البصر إذا فتحت العين) فدعا باسم الله الأكبر وهو عنده ؛ فاحتمل العرش احتمالا حتى وضع بين يدى سليمان

فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربى الذى أفضله علىّ وعطائه الذى جاد به علىّ ليختبرنى ويمتحننى أأشكر ذلك من فعله علىّ أم أكفر نعمته علىّ بترك الشكر له ؟ ويقول الله تعالى لعباده : من شكر نعمة الله عليه وفضله فإنما يشكر طلب نفع نفسه؛ لأنه لاحاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكرها للنفع لهم، لا لاجتلاب نفع من شكرهم إياه، ولا دفع ضر عنه، وأن من كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، فقد ظلم نفسه، وبخسها حظها، والله غنى عن شكره، لاحاجة به إليه، لايضره كفر من كفر به من خلقه، كريم ومن كرمه أفضاله على من يكفر نعمه

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ

مَقامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُونِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل

ولما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ وقدمت هى عليه قال سليمان لجنده : غيروا لهذه المرأة سريرها ، بمعنى أنهم يزيدون وينقصون فيه ، لننظر أتهتدى وتعقل ، فتثبت أنه عرشها أم تكون من الذين لا يعقلون (أى لننظر إن كانت تعرفه أم لا ؟)

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل

فلما جاءت ورأت العرش قال لها سليمان : أهكذا عرشك؟ فقالت : كأنه هو . فقال سليمان : وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله وبقدرته على مايشاء وكنا مسلمين لله من قبلها

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ النمل

وكانت هذه المرأة كافرة من قوم كافرين ، وقد صدَّها عن الهداية للحق وعبادة الله كفرها بقضاء الله وقدره وعبادتها للشمس والقمر

وكان ذلك من دين قومها وأبائها فاتبعتهم فيه

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ النمل

ثم قال لها سليمان : ادخلى الصرح ليريها ملكا أعز من ملكها وسلطانًا أعظم من سلطانها (وقيل ان هذا الصرح الذى أمر سليمان بعمله قد عملته الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضًا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس)

فلما رأته حسبته لجة من الماء ، فكشفت عن ساقيها لتخوض فيه لئلا يبتل ثيابها بالماء، وأخبرت بأن ماظننته ماءً إنما هو زجاج

فدعاها سليمان لعبادة الله وعابها فى عبادتها الشمس من دون الله

فقالت : رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، وأسلمت وحسن إسلامها

﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل

موت سليمان عليه السلام

كان سليمان عليه السلام يصلى فمات وهو قائم يصلى ، والجن يعملون ولا يعلمون بموته،حتى أكلت الأرَضة (وهى دابة الأرض) عصاه،فلما خرَّ على الأرض ميتًا تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا فى العذاب المهين ؛ وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ (عصاه) فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَالَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سبأ

١٩ — قصة سيدنا الياس عليه السلام

سيدنا إلياس عليه السلام هو إلياس بن يس بن فنحاص بن العيزار ابن هرون بن عمران قد أرسله الله نبيًا ورسولا إلى قومه من بنى إسرائيل الذين كانوا يعبدون صنما يقال له (بعل) لينصحهم ويدعوهم إلى عبادة الله فقال لهم : أيها القوم ، ألا تتقون الله فتخافون وتحذرون عقوبته على عبادتكم صنما وتدعون بعلا ربًا، وتتركون عبادة الله أحسن الخالقين الذى هو ربكم ورب آبائكم الأولين،وليس الصنم الذى لايخلق شيئًا ولا يضر ولا ينفع ؟

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾

الصافات

وجعل إلياس يدعوهم إلى عبادة الله وهم لايسمعون له نصحًا ولا يصدقون له قولاً وكذبوه

فلما رأى إلياس أن بني إسرائيل قد كذبوه ولم يطيعوه وأبوا إلَّا الكفر والظلم دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر، وجهد الناس جهداً شديداً واستخفى

الياس خوفًا على نفسه من بنى إسرائيل ، وكان حيثما كان وجد رزقه ، وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى دار أو بيت قالوا : لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه، ولقى منهم أهل ذلك المنزل شراً ، ثم انه آوى ليلة الى إمرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له (اليسع بن اخطوب) به ضرٌّ ، فآوته وأخفت أمره ، فدعا الياس لابنها فعوفى من الضرِّ الذى كان به واتبع اليسع اليـاس فآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب . وكان الياس قد كبر وهرم وكان اليسع غلاماً شاباً (فيزعمون والله أعلم) أن الله أوحى الى إلياس أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص سوى بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطير والشجر بحبس المطر عن بنى إسرائيل (فيزعمون والله أعلم) ان الياس قال : رب دعنى أنا الذى أدعو لهم وأكون أنا الذى آتيهم بالفرج مما هم فيـه من البلاء الذى أصابهم لعلهم يرجعون وينزعون عما هم عليه من عبادة غيرك ، قيل له نعم . فجاء الياس إلى بنى إسرائيل فقال لهم : انكم قد هلكتم جهداً وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور (أو كما قال لهم) فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله ساخط عليكم فيما أنتم عليه وان الذى أدعوكم اليه هو الحق ، فاخرجوا بأصنامكم هـذه التى تعبدون وتزعمون أنها خـير مما أدعوكم اليه ، فان استجابت لكم فذلك كما

تقولون، وإن هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البـلاء . قالوا : أنصفت . فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به الى الله من أحداثهم التى لاترضى فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ماهم فيـه من الضلالة والباطل

ثم قالوا لإلياس : ياالياس ، إنا قد هلـكنا فادع الله لنـا . فدعا لهم الياس بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس باذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ، ثم ترامى اليـه السحاب ، ثم أرسل المطر فأغاثهم فحييت بلادهم وفرج عنهم ما كانوا فيـه من البلاء . فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه

فلما رأى ذلك الياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه اليه فيريحه منهم ؛ فأذن له الله فى مهاجرتهم ففعل ؛ وأوعد الله قومه بأنهم واقعون فى عذاب الله ، إلا عباده المخلصين الذين أخلصهم من العذاب

وقد أثنى الله على الياس وأبقى له ذكراً حسناً فى الآخرين من الأمم من بعده؛ لأنه كان من المؤمنين المخلصين المرسلين، كما يجازى بذلك أهل طاعته المخلصين فى عبادته المحسنين فى أفعالهم ؛ وذلك قوله تعالى:

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصافات

٢٠ ـ قصة سيدنا اليسع عليه السلام

لما انقطع إلياس من بنى إسرائيل بعث الله (اليسع بن أخطوب ابن العجوز) نبيًا و رسولاً وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سورة الأنعام :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

فقام مقام إلياس فى وعظ ونصح الناس ودعوتهم إلى عبادة الله واتباع الحق، فأصلح من شأنهم وآمنوا به جميعًا، واستمر معهم زمنًا إلى أن مات

ثم إن بنى إسرائيل من بعد وفاته تركوا العمل بأحكام التوراة وأُخذ التابوت منهم، وصاروا يزدادون يومًا فيومًا فى الكفر والطغيان فرفع الله تعالى عنهم النعمة والأمن والراحة ، وسلط عليهم أعداء ينازعونهم أرضهم وديارهم، فاستولت عليهم الدولة الأشورية وكان قاعدة ملكها (نينوى عاصمة بابل) وفى هذا العصر ظهر يونس عليه السلام .

٢١ – قصة يونس عليه السلام

سيدنا يونس عليه السلام هو ابن (متى) وكان قبل بعثته رجلاً صالحاً يتعبد فى جبل فى قرية من قرى الموصل يقال لها (نينوى) ؛ وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه الله تعالى إليهم لينهاهم عن المنكر و يأمرهم بالمعروف و يصدهم عن الكفر و يرغبهم فى التوحيد

قال الإمام على كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما (روبيل) وكان عالماً حكيماً والآخر (تنوخ) وكان عابداً زاهداً

وقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما : لما يئس يونس من إيمان قومه دعا عليهم فأوحى الله إليه، ما أسرع ما دعوت على قومك، إرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى، فإن أجابوك وإلا فإنى مرسل عليهم العذاب ؛ فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام فيهم خطيباً وقال : إنى محذركم العذاب إلى ثلاثة أيام إن لم تؤمنوا، فخافوا وقالوا : إنا لم نجرب عليه كذباً

فلما كانت ليلة الأربعين خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم

ولما أصبحوا تغشاهم العذاب ، فظهرت سحب سوداء فى السماء ، وثار دخان كثيف ، وهبطت السحب بدخانها حتى غشيت مدينتهم ، وأيقنوا بالهلاك والعذاب ، فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه، فقذف الله فى قلوبهم التوبة ، وألهمهم الرجوع اليه عز وجل ، فخرجوا الى العراء (الخلاء) بأنفسهم ونسائهم وأبنائهم ودوابهم ، وأظهروا الايمان والتوبة لله تعالى ، وأخلصوا له النية ، وعلت أصواتهم بالدعاء ، وضجوا بالبكاء ، وتضرعوا الى الله تعالى ، وقالوا : آمنا بما جاء به يونس ، فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم ، وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلهم

وقد مدحهم الله وقال فيهم : إنهم كانوا مثلاً حسنًا ، لأنهم صدقوا النية ، وتابوا توبة نصوحا ، وآمنوا قبل نزول العذاب، فحوّله الله عنهم ، وكشف عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ، ومتعهم الله بالنعم والخيرات الى حين من الدهر

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ يونس

فلما رجعوا الى الذنوب وعادوا الى السيئات ونقضوا التوبة ، رفع

الله عنهم الخير وأنزل بهم القحط والمقت

ولما خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم مكث ينتظر نزول العذاب بهم فلم ينزل ، ولم يعلم أنهم قد تابوا وتاب الله عليهم ، فخشى أن يرجع اليهم لئلا يقتلوه ، فان من عادتهم قتل من كذب ، ولم تكن له بينة ، وقد أوعدهم وحذرهم العذاب ولم يقع ، فظن أنهم قد يرمونه بالكذب و يقتلونه ، وانطلق ملتجئا الى ربه مغاضبا قومه الذين يئس من إيمانهم حتى أتى بحر الروم

ولما أتى البحر وجدقوماً يركبون سفينة فركب معهم ودفع الأجر ، فأصاب السفينة ريح كادت تغرقها ، فقال الملاحون : إن فيها عبداً آبقاً (لأن من عادة السفينة إذا ركب فيها آبق لاتسير حتى يخرج منها) فاقترعوا وقالوا : مَن تخرج القرعة عليه فهو الآبق

ولما اقترعوا وقعت القرعة على يونس عليه السلام فقال: أنا الآبق ، فلم يقبلوا منه ، وقالوا : كيف ذلك ؟ انا نرجو بك الخير والنجاة

واقترعوا ثانية وثالثة والقرعة تخرج على يونس عليه السلام ، فزج نفسه فى الماء فابتلعه الحوت ولم يقتله ؛ بل بقى حياً فى بطنه ، وهو عليه السلام قد لام نفسه من عدم الصبر حتى يأمره الله بالهجرة أو غيرها

وقد مكث عليه السلام فى بطن الحوت ثلاثة أيام حتى أدركه الغم وأصابه الهم ، ونزل به المرض ، فنـادى ربه فى الظلمات : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل قائلا :

لا إله إلا أنت سـبحانك إنى كنت من الظالمين لأنفسهم بترك الصبر حتى توحى الىَّ بما أتبعه وأقوم على تنفيذه

فأجاب الله دعاءه ونجاه من الغم الذى كان فيه ، وكذلك ينجى الله المؤمنين به، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَذَا النُّونِ (أى صاحب الحوت) إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء

فلما استجاب له ربه أوحى إلى الحوت فقـذفه على جانب نهر (الدجلة) ولولا أنه كان عليه السلام من المسبحين الذين يذكرون الله لبقى فى بطن الحوت حيًّا أو ميتًا الى يوم القيامة ، ولـكن الله جلت قدرته ونفذت إرادته ، جعل الحوت يقذفه الى وجه الأرض الخالية على جانب نهر (الدجلة) وهو سقيم خائر القوى ، ضعيف البدن ، نحيف الجسم مما حصل له ، وأنبت عليه شجرة من (اليقطين) ليستظل بها رحمة

من الله به (وقال أغلب المفسرين : هى شجرة القرع) فكان لا يتناول منها ورقة إلَّا أروته لبنًا ، وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ الصافات

« وجاء فى كتب الفقه : أن سيدنا يونس عليه السلام حين أخرجه الله من بطن الحوت، وقت غياب الشفق وظهور النجوم، صلى أربع ركعات شكراً الله لنجاته، فهو أول من صلى صلاة العشاء »

ثم أمره الله تعالى أن يأتى قومه فصدع بأمر ربه فلقى راعيًا فسأله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير وأنهم يرجون أن يرجع اليهم رسولهم، فقال له : أنا يونس . فذهب فرحًا وأخبر قومه فأسرعوا اليه، وانكبوا على رجليه يقبلونهما ، ودخل معهم (نينوى) فوجدهم قد تابوا وأنابوا، وكانوا يتمنون رجوعه ففرحوا به فرحًا شديداً فمكث فيهم وكانوا مائة ألف فأكثر ، فآمنوا بيونس عليه السلام

وبما جاء به، واتبعوه فى كل ما أمرهم به ونهاهم عنه ، وهذا إيمان جديد غير إيمانهم حين رأوا العذاب فمتعهم الله بالنعيم والخيرات الى أجلهم المسمى فيمن ماتوا على الايمان، أو الى أن عصوا ربهم وخالفوا نبيهم فيمن جحدوا وأنكروا

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ الصافات

٢٢ – قصة زكريا عليه السلام

زكريا عليه السلام ابن (برخيا) هو من ذرية سليمان عليه السلام ، وكان الحبر الكبير فى بنى إسرائيل ، وهو الذى يقرب القربان فى بيت المقدس ، ويتلو عليهم التوراة ، وكان متزوجا (ايشاع) أخت (حنة) زوجة عمران (بن ماتان) أحد كبار بنى إسرائيل ، وكانت (حنة) قد حرمت الولد حتى يئست فتضرعت الى الله تعالى أن يرزقها ولداً ، وقالت : يارب إنى جعلت لك نذراً ، أن لك الذى فى بطنى محرراً لعبادتك ، وحبسته لخدمتك وخدمة قدسك ، فتقبل منى ماندرت لك يارب ، إنك أنت السميع لما أقول ، العليم بما فى نفسى ، لايخفى عليك سر أمرى وعلانيته ، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَافِى بَطْنِى مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ آل عمران

ثم توفى زوجها عمران (ابن ماتان) وهى حامل . فلما وضعت (حنة) قالت : رب إنى وضعت الذى نذرته اليك أنثى – والله أعلم بما وضعت – ثم قالت : – اعتذاراً الى ربها مما كانت نذرت فى حملها فحررته لخدمة ربها – وليس الذكر يامولاى كالأنثى ؛ لأن الذكر أقوى على الخدمة

وان الأنثى لاتصلح لدخول القدس، والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس، وإنى سميتها مريم

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ آل عمران

ثم عوذتها بالله من الشيطان وقالت : إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم ، فلا يجعل له عليها سبيلا

﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ آل عمران

ثم أخذتها أمها حنة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وقالت لهم : دونكم هذه المولودة التى نذرتها، فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وتقبلها الله قبولا حسنا، وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا فقال لهم : أنا أحق بها منكم ؛ لأنها بنت خالتى وخالتها (ايشاع) عندى ، فقالوا : نعم ، ولكننا نقترع عليها ، فألقوا أقلامهم فى نهر جارٍ (قيل أنه نهر الأردن)

فلما ألقوا أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة ارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم ، فأخذها زكريا وكفلها وضمها الى خالتها ،

وربَّاها أحسن تربية حتى كبرت وبلغت مبلغ النساء ، وبنى لها غرفة (محرابا) فى المسجد فاعتكفت وصارت تتعبد فيه ، ولم يكن يدخل عليها أحد غير زكريا عليه السلام

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران

فكان كلما دخل عليها زكريا فى حجرتها (أى فى المحراب) وجد عندها فاكهة وطعاما ، فكان يسألها عن مصدره فتقول : هو من عند الله ، وأن الله يرزق من يشاء من خلقه بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ آل عمران

فلما رأى زكريا عليه السلام مارأى عند مريم من رزق الله الذى رزقها وفضله الذى آتاها من غير واسطة أحد من الآدميين فى ذلك لها أكبر هذه الكرامة وكان قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ولم يرزق بولد وأمرأته (إيشاع) كانت عاقراً ويئس من الذرية فدعا ربه أن يرزقه منها ذرية طيبة مع الحال التى هما بها كما رزقه مريم

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ آل عمران

ثم نادى ربه نداء خفيًا لا علنًا؛ لأنه لا يريد ظهوراً ولا رياءً فقال: يارب لقد وهن عظمى وضعف، وانتشر الشيب فى رأسى، ولم أكن بدعائك يا ربى شقياً؛ لأنك لم تخيب دعائى إذ دعوتك، وإنى خفت بنى عمى وعصبتى من بعدى أن يرثونى بعد حياتى فلا يحسنون خلافتى، وإن امرأتى عاقرٌ لا تلد، فامنحنى يا إلهى من فضلك وليًا يلى أمرى من صلبى فيخلفنى ويرثنى من بعد وفاتى، ويرث من آل يعقوب (لأن زكريا كان من ولد يعقوب) النبوة والعلم، واجعله يا رب مرضيًا ترضاه أنت، ويرضاه عبادك دينًا وخلقا؛ وفى ذلك قوله تعالى:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ مريم

فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه (يحيى) ولم نجعل له شبيها ولم يسم باسمه أحد من قبل

﴿ يازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اُسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ مريم

قال زكريا لما بشره الله بيحيى : ربِّ من أين يكون لى غلام وامرأتى عاقر لاتحمل، وقد بلغت من الكبر سنا لايرجى معه الحصول على ولد ؟

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ اُمْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ مريم

فقال الله تعالى لزكريا مجيباً له : الأمر كذلك وهو علىّ هين وسهل؛ لأنى قد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً مذكوراً، وجعلتك بشراً سويا، فكذلك أخلق لك الولد الذى بشرتك به من زوجتك العاقر مع تقدم سنك، ووهن عظمك، واشتعال رأسك بالشيب

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ مريم

فقال زكريا : يارب اجعل لى علامة أستدل بها على مابشرتنى به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك ليطمئن إلى ذلك قلبى

﴿ قَالَ رَبِّ اُجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ مريم

فأجابه الله سبحانه وتعالى وقال له : علامتك لذلك، ودليلك عليه، ألَّا تكلم الناس ثلاث ليالٍ وأنت صحيح الجسم لاعلة بك من مرض ولا خرس يمنعك عن الكلام

﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ مريم

فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس (آية من الله على حقيقة وعده إياه ماوعد) وأشار إليهم بالتسبيح والحمد والشكر لله فى البكور والمساء

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ مريم

ثم لما عاد إلى المحراب : (وكانت امرأته ايشاع قد حملت) فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب : يازكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى بن مريم ، ويكون سيد القوم حليما تقيا ، ممتنعا عن الشهوات ، ومن أنبيائه الصالحين

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران

ثم وضعته فكان من عباد الله الصالحين ومنحه الله الحكم والنبوة

٢٣ — قصة يحيي عليه السلام

لما ولد زكريا عليه السلام يحيي قال الله له : يايحيي خذ الكتاب (كتاب الله الذى أنزله على موسى وهو التوراة) بقوة وجد واحكم بما فيها

وقدأعطاه الله منذ صباه أى قبل بلوغ سن الرجال الفهم لكتاب الله والحكم به،وذلك رحمة من الله به ومحبة له

وقد طهَّره الله من الذنوب،وجعله تقيا يتقى الله ويخافه، مؤديا فرائضه مجتنبا محارمه،مسارعاً فى طاعته،وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ يايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ مريم

وقد منحه الله العطف على أبويه، ولذا كان بَرًّا بهما، مسارعاً فى طاعتهماومحبتهما، غير عاق لهما ، ولم يكن مستكبراً عن طاعة ربه وطاعة والديه،ولكنه كان لله ولوالديه متواضعًا متذللا، يأتمر بما أمر به،وينتهى عما نهى عنه،لايعصى ربه،ولا والديه،وفى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا ﴾ مريم

ولذا حيَّاه الله،ووعده بالسلام والأمان، من أن يناله الشيطان من

السوء بما ينال به بنى آدم فى يوم ولادته ، كما أنه وعده بالأمان من فتنة القبر يوم يموت ، والأمان من عذاب يوم القيامة يوم الفزع الأكبر من أن يفزعه شئ مما يفزع الخلق

﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ مريم

وقيل: إن سيدنا يحيي ولد قبل المسيح بثلاث سنين

قتل يحيي وزكريا

قيل: كان فى عصر يحيي ملك له زوجة عجوز ، وكان معها ابنة من غيره ، فأراد الملك ويقال له (هرودس) أن يتزوجها فاستفتى يحيي عليه السلام فى ذلك . فأجابه بأنها لاتحل له ، فغضب الملك على يحيي وقتله ، ولما قتل يحيي وسمع أبوه زكريا بقتله فرَّ هاربًا فدخل بستانًا عند بيت المقدس فأرسل الملك فى طلبه وقتله . وقد مات كل منهما شهيداً

ويروى أن يحيي عليه السلام سيد الشهداء يوم القيامة، وقائدهم الى الجنة ؛ وقيل: أنه مدفون ببيت المقدس ، وقيل بمدينة فلسطين ، والله تعالى أعلم

انتهى بعون الله الجزء الأول ؛ ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى ويشمل أولى العزم من الرسل والله الموفق ؟

١٥ شوال سنة ١٣٥٢ هـ

٣١ يناير سنة ١٩٣٤ م

السيد على فكرى

ابن المرحوم السيد

محمد عبد الله

فهرست

تنبيه:

أما قصة نوح عليه السلام رقم (٣)
وقصة ابراهيم عليه السلام » (٦)
» موسى » » (١٥)
» هرون » » (١٦)
» عيسى » » (٢٤)
» محمد » » (٢٥)

فجميعها فى الجزء الثانى الخاص بأولى العزم من الرسل عليهم السلام فى المبدأ والختام

كتب أخرى للمؤلف

السمير المهذب

في أربعة أجزاء

كتاب جمع من القصص الدينية التهذيبية عن السلف الصالح، والحكايات الخلقية، والأمثال الأدبية الوعظية، والموضوعات الاجتماعية، مافيه غذاء لنفوس الأبناء، وتهذيب أخلاقهم، وعبرة للآباء. وهو مطبوع بمطبعة الحلبي ويطلب منها مباشرة



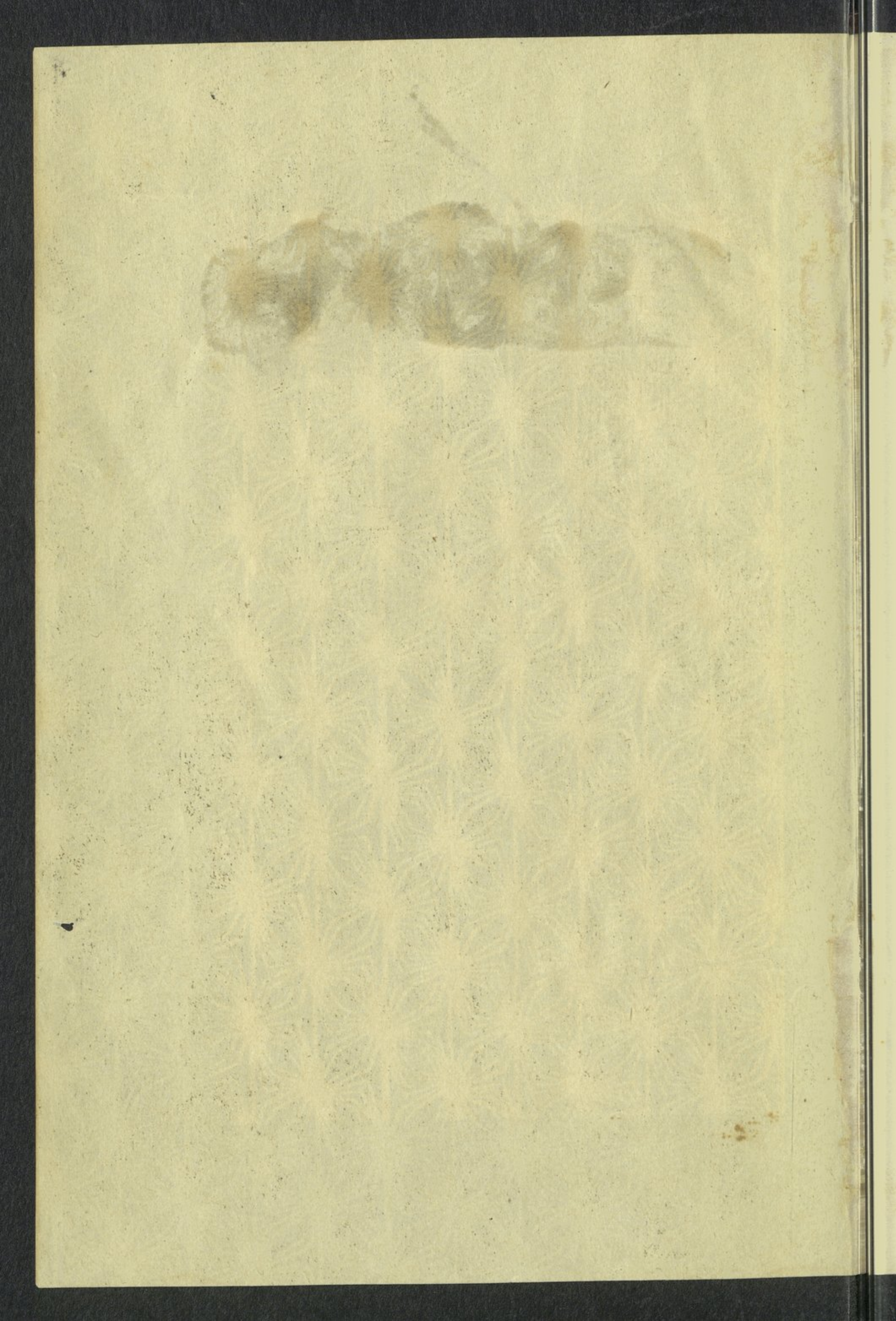
كتاب صغير الحجم غزير المادة، كثير الفائدة، يشمل معلومات مفيدة للأطفال ويعد بمثابة دائرة معان صغيرة لهم



كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية ، والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال ، وجليل الأعمال ، التى يكونون بها رجالاً فى المستقبل ، نافعين لأنفسهم ، ووطنهم ، وأسرتهم



كتاب لتربية البنات تربية إسلامية حقة ، فى أدوار حياتهن المنزلية ، والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيرا من الحكايات التهذيبية والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيدة مهذبة ومديرة عاقلة ، وامرأة صالحة نافعة لأمتها وأسرتها .





DATE DUE



